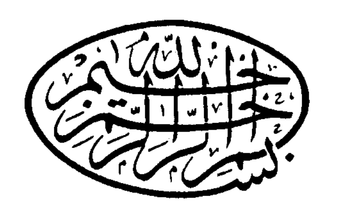
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
إدارة الثقافة والنشر

تطهير الجنان والأركان
عن
درن الشّرك والكفران

بقلم
أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن على
الشّافعيّ السّلفيّ
قاضي المحكمة الشرعيّة بقطر

جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ - مارس ١٩٨٦ م


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

بقلم

معالى الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحمـد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين . . وبعد :

فقد حرصت الجامعة منذ صدور الكتاب الأول من هذه السلسلة أن تتحسس مواطن الخـطر وتبحث عن مواضع الداء في عالمنا الاسلامي اليوم لتسهم بتقديم الـدواء النـافـع له باذن الله مستمدة ذلك من أقدس مصدر. كتاب الله العظيم وسنة رسوله المصطفى الكريم .

وهذا البحث الذى نقدمه اليوم لاخواننا وأبنائنا كان في الأصـــل رســالـــة أمــلاهــا العــالم الجليل فضيلة الشيخ / احمـد بن حجـر آل بوطـامي البنعـلي قاضي المحكمة الشرعية الأول بدولة قطر. وذلك اجابة لأحد الـدعـاة في جنـوب آسيا ممن يلاقون الكثير من العناء والنصب من الذين يدعونهم إلى عبادة الله وحده ونبذ الخرافات والاستعانه أو الاستغاثه بمن لا يضر ولا ينفع ولا يغنى ولا يشفـع. وقـد سمى رسالته هذه (تطهير الجنان والأركان ـ عن درن الشرك والكفران).

وقـد ركـزت هذه الرسالة المفيدة على علم التوحيد الذى هو أساس العقيدة الإسلامية.

لقد تضمن هذا البحث العظيم / علم التوحيد، ماهيتـه. أنواعه. الأدلة المثبتة لكل نوع. ونفي الشبه والأباطيل التى روجها اعداء الإسلام ووقع فيها الكثير من العامة في أكثر من بلد اسلامى.

والتوحيد هو أساس العقيدة ومن أجله نزلت الشرائع

كلها واليه دعت الرسل والأنبياء منذ آدم عليه السلام وحتى محمد رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين. «ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت».

وعلى هذا الأساس وجد الكتاب الاهتمام اللائق به وطبع اكثر من عشر طبعات وترجم الى اكثر من لغة من قبل الغُيّر على دين الاسلام والمجاهدين في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفي كل طبعة من الطبعات كان يحاول المؤلف استدراك ما فاته من مباحث تتعلق بالعقيدة ويضيف ما يرى في اضافته منفعة لطلاب العلم وحملة راية الدعوة الى الله على بصيره.

لقد بذل المؤلف، وفقه الله وجزاه عن الاسلام والمسلمين كل الخير؛ جل جهده في الدفاع والنضال عن العقيدة الاسلامية وايضاح مادسته الفرق الضالة المضلة من البدع والخرافات، وما أحدثته من التحريف

والانحراف وفقا للهوى واتباعا لطريق الشيطان طريق المغضوب عليهم، وما وقع فيه كثير من الناس من غلو في الصالحين واتباع القبوريين المبتدعين المرتزقين وما انتشر في بعض المجتمعات الاسلامية من عادات مبتدعة والنذور لغير الله والتوسل وطلب النفع أو دفع الضرر ممن لا يملكه واتخاذ الواسطة بين الخلق والخالق ممن هم اعجز عن نفع أنفسهم فكيف بغيرهم مهما علت مرتبتهم وكبر عند الله مقامهم قال الله تعالى «وان يمسسك الله بضرٍ فلا كاشف له الا هو. وان يردك بخير فلا راد لفضله» «ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا. أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون»

لقد تناول المؤلف تفنيد المزاعم التى يروجها دعاة الضلال ورد شبهاتهم بأسلوب علمي رصين واضح العبارة جلي المعنى رسم فيه معالم الطريق لكل من يريد اتباع الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم بنعمة الاسلام وتطبيق شريعة الله على الوجه الصحيح

والابتعـاد عن الشبهات وما يوقع في الحرام ويخرج عن الملة. أما من أقفل سمعه عن سماع كلمة الحق وعميت بصـــيرتـــه عن الهـدى واختــار طريق الغـواية وسبيل الشيطان ـ فسيستمـرون في غيهم وضلالهم، قال الله تعـالى واصفـاً حالهم «ويجـادل الـذين كفـروا بالباطل ليدحضوا به الحق» «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم» «ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم».

والجامعة وهى الحريصة دائما على الاسهام والعمل على نشر الدعوة الإسلامية بكافة الوسائل المتاحة لها. في كل مكان وعلى كل أرض ليسعدها أن تسهم في طبع هذا السفر العظيم بعد أن تجاوب المؤلف مع هذه الرغبة وخص هذه الـطبعة بمزيد من الاضافات والتعليقات الجديدة والتى ستحقق مزيدا من الفائدة لمن اطلع عليها ان شاء الله.

وفق الله الجميع لخدمة دينه واعلاء كلمته ونفعنا الله

بما في هذا البحث من فوائد جمة وأجزل للمؤلف المثوبة وشكر الله سعيه ووفقه وأعانه على متابعة طريق الخير، بالكلمـة الحسنة، والدعوة الصادقة. انه سميع مجيب والله الهادى سواء السبيل.

مدير الجامعة

د. عبدالله بن عبدالمحسن التركـي

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي أمرنا بالعبادة، وبطاعته وطاعة رسوله، ووعدنا بالحسنى مع الزيادة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، البالغ منتهى الشرف والسيادة، وعلى آله وأصحابه الذين منحهم الله العزة والسعادة.

أما بعد :

فلا زال الإسلام منذ أن طلع فجره محارباً. حورب من قريش وسائر مشركي العرب، ومن اليهود والفرس والروم والتتر والصليبيين، وكتب الله النصر المؤزر للإسلام والمسلمين، وأذل الله المشركين والكافرين. ولكن الأعداء - وإن خذلهم الله - ما فتئوا يحيكون المؤمرات والدسائس ويبثون دعاياتهم الضالة ضد الإسلام والمسلمين، فتعددت مقالاتهم، وتنوعت مذاهبهم، وانتسب كثير منهم إلى الإسلام، لأجل أن تروج عقائدهم ويتم لهم القضاءُ على الإسلام - لا سمح الله - ومن أشدها فتكاً ، وأخبثها دعاية، وأكثرها رواجاً، دعاية المخرفين

والقبـوريين والصوفية المبطلين[1] الذين لم يدخروا وسعاً في نشر البدع والضلالات باسم الدين، والدين منها بريءٌ . كما دعوا إلى عبادة القبور وحسنوها للجماهير بشتى الأساليب، من بنـاءِ القباب الشاهقة عليها وتزويقها، ووضع الستور النفيسة عليهـا، لجـذب النـاظـرين والزائرين إليها، وأن تكون تلك القبـاب محـل الـدهشـة والإعجاب. وجعلوا السدنة حولها ليطوفـوا بالـزائـرين حول الضـرائـح ويعلموهم كيف يدعون الأولياءَ. وينزلون بهم حاجاتهم.

ومن اختراع حكايات سمجة عن القبور، وكرامات مختلقة لاتمت إلى الصحـــة بنصيب. ومن إنشـــاءِ قصـائـد تطفـح

(١) لا المحقين. لأن الصوفية قسمان : قسم محقون وهم الذين تقيدوا بالكتاب والسنة، ولم يتجاوزوهما، وكل مافي الأمر أنهم غلبوا جانب الآخرة على الدنيا، كالجيلاني والجنيد وسهل التستري وأمثالهم.

وصـوفية مبـطلون : وهم الـذين يخالفـون الكتـاب والسنة، ويتعـدون حدودهمـا ويأتون بعقائد ما أنزل الله بها من سلطان، وبأعمال مخترعة يبرأ الكتاب والسنة المطهرة منها، كاعتقادهم بوحدة الوجود، واختراعهم أذكاراً واحتفالات يمتزج فيها الذكر بالرقص، ويختلط فيهـا الـرجـال والنسـاء، ويدق فيهـا الطبول وتنشر فيها الأعـلام، ويأتـون بمخـاريق كضرب أنفسهم بالسكين والخنجر وأكل النار. اللهم اهد عبادك إلى الصراط المستقيم.

بالاستغاثات والنداءات التى لا تصلح إلا لخالق الأرض والسموات.

ومن تأْليف كتب تدعو إلى عبادة الأنبياء والصالحين سبكت في قالب حب الأنبياء والأولياء، وأنهم هم الشفعاءُ لنا عند الله، والواسطة بيننا وبينه تعالى. ويعززون كلامهم بحكايات عن الصالحين ليس لها حظ من الصدق، وبأحاديث موضوعة كحديث (لو اعتقدتم بحجر لنفعكم[٢] وبأقيسة فاسدة.

وبما لا يدل على مطلبهم من آية أو حديث صحيح كما سترى في هذه الرسالة.

وعم هذا الداءُ الوبيل سائر الأقطار الإسلامية، ولم يسلم منه إلا القليل من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين الذين عرفوا التوحيد الذي جاءَ به الأنبياءُ والمرسلين.

وبعض الأقطار الإسلامية كالمملكة العربية السعودية، بفضل دعوة علمائها المخلصين وملوكها المهتدين. فنتج من

---

(٢) هذا الحديث صريح في الوثنية المحضة، ينادي على قائله بأنه من أشد أعداء الإسلام، ومن الدعاة إلى عبادة الأحجار والأوثان والأصنام. فكيف يروج مثل هذا الحديث على أناس يزعمون أنهم من العلماء.

جرّاءِ تلك الدعايات الضالة الْمُضَلِّلَة التي قام بها ونشط لها المبشرون بالضلال وعبادة غير ذي الجلال. أن انخدع بها الأَكثرون، وانصرفوا عن توحيد الإِله العظيم خالق الأنام، وتحمسوا لها، وأخذوا يتقربون إلى قبور الأنبياء والصالحين. وتجاوز الأمر حتى تقربوا إلى الأشجار والغيران المنسوبة إليهم بأنواع النذور، ودعائهم لكشف ضر نزل بهم، أو طلب ولد أو رزق أو وظيفة أو مطر، مما ليس في قدرة أحد إلا رب العالمين، وطافوا بقبورهم كما يطاف بالكعبة المعظمة، وشدوا الرحال إليهم من الأماكن الشاسعة بقصد الحج لتلك المزارات البدعية، وأوقفوا الأموال الطائلة على تلك الأضرحة المقدسة عندهم حتى أنه قد تجتمع في خزائن بعض المقبورين أموال تعد بالملايين.

ورحم الله شاعر النيل «حافظ إبراهيم» حيث قال:

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم
وبألف ألف ترزق الأموات

من لي بحظ النائمين بحفرة
قامت على أعتابها الصلوات

يسعى الأنام لها ويجري حولها
بحر النذور وتقرأُ الآيات

ويقـال هذا الباب باب المصطفى
وسيلة تقضى بهـا الحـاجـات

وإنـك لتجـد الـزحـام حول تلك القبور واختلاط الرجال بالنساء وبكاءَ الكثيرين وصراخهم وعويلهم ودويَّ أدعيتهم.

كما تجد كثيراً من مدعي العلم ومروّجي الضلال يحسِّنون لهم تلك الأعمال ويحضونهم على تلك المنكرات من أجل نيل الحطام، ويأتي أُولئك الجهال هذه الشركيات والبدع والضلال، باعتقاد أنها من صميم الدين، وأنها تقرّبهم إلى رب العالمين، لكونهم مخدوعين بدعايات أدعياء العلم ورؤساء الضلال، وسدنة الضرائح. والويل كل الويل لمن أنكر عليهم وأفادهم أن هذه الأعمال ليست من الدين بشيءٍ، بل تنافيه، والدين منها بريء، وأن الواجب عليكم أن تفردوا ربكم بهذه العبادات التي تتقربون بها إلى هؤلاء الأموات، الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً فضلا عن غيرهم.

والعلماءُ إزاء هده البدع والشركيات أصناف ثلاثة :

صنف يؤيد تلك البدع والخزعبلات ويدعو إليها، وقد

يكتب وينشر في تأْييد مذهبه، لا سيما إذا كانت له مصلحة مادية.

وصنف يعرف الحق، وأن ما عليه جمهور الناس باطل وضلال، لكنه يساير العامة وأشباههم، إما رجاءً، وإما رهبة أو جبناً!

وصنف ينكر ذلك ويدعو الناس إلى ترك تلك المحدثات ويرشدهم إلى التوحيد والتمسك بالسنة المطهرة. وهؤلاء قليلون بالنسبة لذينك الصنفين.

وبالرغم من كثرة المؤلفات فى هذا العصر[٣]، من الممالك العربية وغيرها، وتنوّر أذهان الكثيرين، لكنهم لم يهتموا بعلم التوحيد، لا سيما توحيد الأُلوهية. وقد يذكر بعضهم في ثنايا كتابه سطراً أو سطوراً يستهجن هذه الأعمال ويقول: ليست من الإسلام في شيءٍ، ولكن هذا غير كاف. ولذا رأيت أن الحاجة ماسة في وضع رسالة في بيان أقسام التوحيد، وبسط الكلام على توحيد الألوهية، معززاً بالأدلة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم الصحيحة أو الحسنة، ودفع شبه المبتدعة، لعل الله ينفع بها عباده.

---

(٣) كتب علماء الدعوة النجدية رسائل عديدة في بيان التوحيد والشرك.

ولكن لكثرة الشواغل لم يقو العزم حتى شرفنا الشيخ عبد الحميد البكـري السيلاني، الـداعية لتـوحيد الله وإفـراده بالعبـادة، والتمسـك بسنـة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخلفـائه الراشدين، والمحارب للبدع والمحدثات، والزيادة في دين الإسلام.

وقد ذكر لنا الأخ المذكور أنه يلاقي كثيراً من العناءِ والنصب في سيلان من الـذين يدعـوهم إلى نبـذ الخرافات والبدع، وعبادة غير الله، وطلب مني أن أُسجل له كلمة في التوحيد، فسجلت له بالمسجل الذي معه.

فلما انتهيت من الإلقاء، قال الشيخ عبد الحميد، يحسن أن تكتب هذا الـذي ألقيتـه، ليكـون كرسـالـة، ثم تطبعها وتنشرها، وعليَّ بحول الله وقوّته أن أُترجمها إلى اللغة السيلانية والمليبارية.

وقد ترجمها إلى اللغة المليبارية أخونا الفاضل محمد سليم ميران المليباري وطبعت.

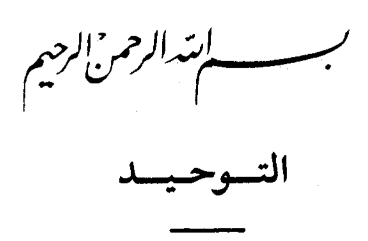
فأَجبته إلى ذلك، رجاء الثواب من الملك العلاَّم، والنفع

= كما كتب الشيخ الصنعاني، والشيخ صديق حسن خان ونفع الله بها، ولكن لم أجدها بالنحو الذي رأيته وكتبته.

لسائر الأَنام. فكتبت الموضوع وراجعته وهذَّبته، وزدت عليه بعض الفـوائـد، وعلقت عليه تعـاليق موجزة، وأصبح رسالة مفيدة، حاوية لأقسام التوحيد، مؤيدة بالأدلة من القرآن والسنة والأحـاديث النبـوية، ودفـع الشبهـات البـدعية، وسميتها : **«تطهير الجنان والأركان، عن درن الشرك والكفران»**.

أسـأل الله العـظيم أن يجعـل هذا العمـل خالصاً لوجهه الكريم، وموجباً للفوز بجنات النعيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

أحمد بن حجر



التـوحيـد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد :

فقد قال الله تعالى :

« وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ »[4]

أي لآمرهم أن يعبدوني ويفردوني بالعبادة. وهذا هو التوحيد[5] الذى جاءت به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من عهد نوح إلى عهد نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم.

(٤) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٥) التوحيد : مصدر وحد يوحد. وهو لغة العلم بأن الشيء واحد واصطلاحاً علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية، مكتسب من أدلتها النقلية والعقلية. وشرعاً : إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالا.

أقسام التوحيد

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام : توحبد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

١- توحيد الربوبية :

وهو اعتقاد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خالق العباد ورازقهم ، محييهم ومميتهم .

أو نقول : إفراد الله بأفعاله ، مثل اعتقاد أنه خالق ورازق .

وهذا قد أقرّ به المشركون السالفون ، وجميع أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس .

ولم ينكر هذا التوحيد إلا الدهرية فيما سلف ، والشيوعية فى زماننا .

الدليل على توحيد الربوبية :

يقال لهؤلاء الجهلاء المنكرين للرب الكريم : أنه لا يقبل ذو عقل أن يكون أثر بلا مؤثر ، وفعل بلا فاعل ، وخلق بلا خالق .

ومما لا خلاف فيه أنك إذا رأيت إبرة، أيقنت أن لها صانعاً، فكيف بهذا الكون العظيم الذى يبهر العقول، ويحير الألباب قد وجد بلا موجد؟! ونظم بلا منظم، وكان كل ما فيه من نجوم وغيوم، وبروق ورعود، وقفار وبحار، وليل ونهار، وظلمات وأنوار، وأشجار وأزهار، وجن وإنس، ومَلَك وحيوان، إلى أنواع لا يحصيها العد، ولا يأتي عليها الحصر، قد وجدت بلا موجد يخرجها من العدم!.

اللهم لا يقول هذا من كان عنده مسكة من عقل، أو ذرة من فهم.

وبالجملة : فالبراهين على ربوبيته لا يأتي عليها العد، وصدق الله، إذ قال :

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾[٦]

---

(٦) سورة الطور الآية ٣٦.

تعليق :

وهم بداهة لم يخلقوا من غير شيء، وطبعاً لم يخلقوا أنفسهم. ولم يدع أحد منهم ولا ممن قبلهم أو بعدهم أنه خالق السموات والأرض فمن الخالق إذن!.

وليس لهذا السؤال إلا جواب واحد، لا يملك الإنسان إذا ترك =

نفسه إلا أن يجيب كإجابة المشركين، كما أخبر الله عنهم في كتابه المجيد:

«ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم».

أما الدهريون والشيوعيون، ومن تلطخ بأرجاس تعاليمهم، فإنهم يعتقدون أن وجود الإنسان والكون ومافيه، جاء من الطبيعة، فهي الخالقة!.

مع العلم أن الطبيعة التي يؤلهونها هي هذه المخلوقات بما أودع الله فيها من خصائص وصفات، كالسماء والأرض والشمس والكواكب والبحار والأشجار .. إلخ.

فالطبيعة كما ترى لا حياة لها ولا علم ولا سمع ولا بصر ولا قدرة ولا إرادة ولا عقل. فكيف أوجدت الإنسان وهو المتصف بهذه الصفات!.

وهل يعقل أن تهب الطبيعة هذه الصفات للإنسان الذي بفضل تلك الصفات غاص أعماق البحار، وغزا الفضاء والكواكب، والحال أنها مجردة من كل تلك الصفات!.

ومن المسلم عقلا أن فاقد الشيء لا يعطيه. فهؤلاء من سخافتهم وجهلهم وعنادهم لأهل الأديان، جحدوا ربوبية خالق الكائنات المتصف بكل صفات الكمال والمنزه عن كل نقص وذهبوا إلى خالقيه الطبيعة الصماء التي لا تحس ولا تعقل.

وأعتقد أن هؤلاء إنكارهم للخالق لا يتجاوز اللسان، ولكن

وقوله :

« ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ »(٧)

عناداً لأهل الأديان وليتسنى لهم استعباد الشعوب، وسلب الإيمان منهم والأموال، ببث هذا الكفر الصريح والإباحية الفاضحة، والشيوعية فى الأموال والأعراض.

ومما يوضح بطلان معتقدهم ورأيهم أن يقال : إن الطبيعة قد سخرت للإنسان، فأصبح سيداً على مافي الأرض، يبني ويهدم ويتصرّف بأجزائها كيف شاء. وهي لا تقاوم سيطرته ولا تتمرد عليه، ولا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فكيف تكون خالقة. فأدني صانع من البشر الذي يصنع الإبرة الحقيرة ـ فضلا عن الأشياء العظيمة ـ لا بد أن يتصف بالحياة قبل كل شيء، ثم بالعقل والعلم والقدرة والإرادة، حتى يتسنى له صنع ما يريده. فلو حاول جاهل مع اتصافه بالحياة والعقل والإرادة أن يصنع شيئاً لما استطاع، لكونه غير عالم.

فكيف بالطبيعة التي ليس لها من تلك الصفات شيء. وصدق الله العظيم : «ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير».

(٧) سورة الزمر الآية ٦٣.

الدليل على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية :

قال الله تعالى : « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »[8]

وقوله تعالى :

« قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ »[9]

وقوله تعالى :

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ »[10]

---

(٨) سورة لقمان الآية ٢٥ . (٩) سورة يونس الآيتان ٣٢، ٣٣ .

(١٠) سورة الزخرف الآية ١٠ .

على أن الشرك مأخوذ من الشركة، يفيد إقرارهم بالربوبية إلا أنهم يجعلون معه شريكاً فى العبادة، كشريكين في شيءً - مثلا - مع أنهم ماكانوا يساوون آلهتهم بالله في كل شيءٍ . . بل في المحبة والخضوع، لا في الخلق والإيجاد والنفع والضر.

توحيد الربوبية
لا يدخل الانسان في دين الاسلام

لتعلم أيها القارىء الكريم، أن هذا التوحيد لا يدخل الإنسان في دين الإسلام، ولا يعصم دمه وماله، ولا ينجيه في الآخرة من النار، إلا إذا أتى معه بتوحيد الألوهية.

٢ - توحيد الألوهية :

ويقال له توحيد العبادة : وهو إفراد الله بالعبادة، لأنه المستحق لأن يعبد، لا سواه، مهما سمت درجته وعلت منزلته.

وهو التوحيد الذي جاءَت به الرسل إلى أُممهم. لأن الرسل - عليهم السلام - جاؤوا بتقرير توحيد الربوبية الذى

كانت أممهم تعتقده، ودعوتهم إلى توحيد الألوهية كما أخبر الله عنهم في كتابه المجيد.

قال الله مخبراً عن نوح ـ عليه السلام ـ

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
أَلِيمٍ »[11]

وقال عن هود : « وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ »[12]

وقال عن صالح : « وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ »[13]

وقال عن شعيب : « ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ
قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ »[14]

---

(١١) سورة هود الآيتان ٢٥ ، ٢٦ .
(١٢) سورة هود الآية ٥٠ .
(١٣) سورة هود الآية ٦١.
(١٤) سورة هود الآية ٨٤ .

وقال الله مخبراً عن موسى ـ عليه السلام ـ فى محاجته مع فرعون :

« قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ » [١٥]

وقال الله مخبراً عن موسى : أنه قال لبني إسرائيل :

« قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ » [١٦]

وقال عن عيسى :

« إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ » [١٧]

وأمر الله نبيه محمداً أن يقول لأهل الكتاب :

« قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ »

---

(١٥) سورة الشعراء الآية ٢٣ ، ٢٤ .

(١٦) سورة الأعراف الآية ١٤٠ .

(١٧) سورة آل عمران الآية ٥١ .

وقال الله تعالى، مناديا جميع البشر :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »[18]

وبالجملة : فالرسل كلهم بعثوا لتوحيد الألوهية ودعوة القوم إلى إفراد الله بالعبادة، واجتناب عبادة الطواغيت والأصنام.

كما قال الله :

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ »[19]

فقد سمعت دعوة كل رسول لقومه، فكان أول ما يقرع أسماع قومه :

«يَاقَوْمْ اعْبُدُوا الله مَا لكُمْ مِنْ إلهٰ غيْرُه».

---

(١٨) سورة البقرة الآية ٢١.

(١٩) سورة النحل : الآية ٣٦.

والطاغوت : مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، ويطلق على الشيطان والكهان وكل ما عبد من دون الله.

وقد حده العلامة ابن القيم حداً جامعاً، فقال : (الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع،

تفسير العبادة

العبادة فى اللغة معناها : التذلل والخضوع، يقال طريق معبد أي مذلل [٢٠].

فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله).

فإذا تأملت هذا التعريف، عرفت أن حكم القانون من الطاغوت، وأن الحاكم القانوني طاغوت. لأنه يحكم بتشريع وضعي لا يستند إلى القرآن والسنة ولا إجماع الأمة.

وقد ذكر الله في عدة آي من القرآن : أن الحكم لله، وأن مرد النزاع إلى الله ورسوله. قال الله تعالى : «إن الحكم لله»، وقال : «ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون». وقال : «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليمًا». وقال : «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا».

وقال : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» وآية : «هم الظالمون»، وآية : هم الفاسقون».

(٢٠) لا بد لها من ركنين أساسيين. الأول : نهاية الخضوع والذل.

وفي الشـرع، معنى العبادة ـ كما قال شيخ الاسلام هي طاعة الله، بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل.

وقال أيضاً : العبادة إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. اهـ.

فعلى المسلم أن يفرد ربه بجميع أنواع العبادات مخلصاً

= والثاني : غاية المحبة.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ بعد أن فسر العبادة بمعنى الذل ما نصه :

(لكن العبـادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب. فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له.

قال : ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه، وبهذا الحب فقط لا يكون عابداً له، ولهذا لا يكفى أحدهما في عبادة الله، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله. وما أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عظم لغير الله فتعظيمه باطل. قال تعالى : «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم، وأموال اقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره» اهـ. من العبودية.

لله فيها، وأن يأتي بها على الوجه الذى سنه رسول الله قولا أو عملا.

شمول العبادة للانواع الآتية

وأعلم أن العبادة تشمل الصلاة، والطواف، والحج والصوم، والنذر، والاعتكاف، والذبح، والسجود، والركوع، والخوف، والرهبة، والرغبة، والخشية، والتوكل، والاستغاثة، والرجاء، إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي شرعها الله في قرآنه المجيد، أو شرعها رسول الله بالسنة الصحيحة القولية أو العملية.

فمن صرف شيئاً منها لغير الله يكون مشركاً، لقوله تعالى :

« وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ »(٢١)

وقوله :

« وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا »(٢٢)

---

(٢١) سورة المؤمنون : الآية ١١٧ .

(٢٢) سورة الجن : الآية ١٨ .

فأحد جاءت نكرة في سياق النهي، تعم كل مخلوق رسولا كان أو ملكاً أو صالحاً.

أول حدوث الشرك :

إذا ثبت هذا، فاعلم أن أول ما حدث الشرك في قوم نوح، ولما أرسل الله إليهم نوحاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة تلك الأصنام، عاندوا وأصروا على شركهم وقابلوا نوحاً بالكفر والتكذيب. وقالوا : كما في القرآن الكريم ـ

« وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا »[٢٣]

في الصحيح عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في هذه الآية، قال : هذه أسماءُ رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً[٢٤] أي صوروهم على صور

---

(٢٣) سورة نوح : الآية ٢٣.

(٢٤) أنصاب : جمع نصب، واصله ما نصب، كغرض ونحوه، والمراد هنا : الأصنام المصورة على صورهم، المنصوبة في مجالسهم.

أولئك الصالحين وسمّوها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد حتى إذا هلك أُولئك ونسي العلم عبدت.

قال الحافظ ابن القيم ـ رحمه الله ـ: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

سبب الشرك الغلو في الصالحين

ومن هنا نعلم أَن الشرك إنما حدث في بنى آدم بسبب الغلو فى الصالحين.

ومعنى الغلو: الإفراط بالتعظيم بالقول والاعتقاد. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ ﴾ (٢٥)

أي لا تفرطوا في تعظيمه حتى ترفعوه عن منزلته التي أنزله الله، فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله.

---

(٢٥) سورة النساء: الآية ١٧١.

ولهـذا ورد الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب، أن رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (لَا تُطروني كمـا أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا عبدالله ورسوله).

أي لا تتجـاوزوا الحد في مدحي، فتنزلوني فوق منزلتي التي أنزلني الله بها، كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الألوهية.

ولكن أبَى الجاهلون والمخرّفون إلا مخالفة أمر رسول الله، وارتكاب نهيه، فناقضوه أعظم مناقضة، وضاهئوا النصارى فى غلوهم وشـركهم، وبنوا القباب»[٢٦] والمساجد على أضرحة

---

(٢٦) قلت في منظومتي «اللآلىء السنية» :

عبـد الأكثـر منهم صالحـاً ... ونـبـيـاً ووليـاً شهـرا
كل قطر عنـدهم معبـودهم ... أشركـوه بالـذي قد فطرا
وقـبـابـاً فوقـهم قد أسسـوا ... خالـفـوا المختـار فيها حذرا
كم حديث ثابـت قد وردا ... قد نهى الأمـة مما صدرا
وأبـو الهياج هذاك التـقـى ... عن علي المـرتضى قد أخبرا
طمس تمثـال وقـبر مشرف ... هدمـه يروى، وذا قد حررا
وذوو الـعلم بذا قد حكمـوا ... راجـع الكتب تجد ما سطرا

الأَولياء والصالحين، وصلوا فيها ـ وإن كان لله ـ لكن بقصد التعظيم للمقبورين، وطافوا بقبورهم، واستغاثوا بهم في كشف الملمات وقضاءِ الحاجات، ورأوا أن الصلاة في أضرحة الأَولياء أفضل من الصلاة في المساجد.

وقد ورد فى الحديث عن عائشة، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت: لما نزل[٢٧] برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ طفِقَ[٢٨] يطرح خميصة[٢٩] له على وجهه، فإذا اغتم[٣٠] بها كشفها، فقال ـ وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). يُحَذِّر ما صنعوا[٣١] ولولا ذلك أُبْرِزَ قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، أخرجه الشيخان[٣٢].

---

(٢٧) نزل: بضم النون وكسر الزاي، مبنى لما لم يسم فاعله، أي نزل به ملك الموت.

(٢٨) طفق: بكسر الفاء وفتحها، والكسر أفصح، كما جاء في القرآن الكريم: «وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة» ومعناه: جعل.

(٢٩) خميصة: بفتح الخاء: كساء له أعلام.

(٣٠) إذا اغتم بها كشفها: أي إذا احتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه.

(٣١) يحذر ما صنعوا..: هذا من كلام عائشة رضى الله عنها.

(٣٢) لعنهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على هذا الفعل بعينه، وهو

وجرى منهم الغلو في الشعر والنثر ما يطول عده، حتى جوّزوا الاستغاثة بالرسول وسائر الصالحين، في كل ما يستغاث فيه بالله، ونسبوا إليه علم الغيب!!، حتى قال بعض الغلاة: لم يفارق الرسول الدنيا حتى علم ما كان وما يكون!! وخالفوا صريح القرآن:

« وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ »(٣٣)

وقال تعالى:

« إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى

اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد. أي كنائس وبيع يتعبدون ويسجدون فيها لله، وإن لم يسموها مساجد، فإن الاعتبار بالمعنى لا بالإسم، ومثل ذلك القباب والمساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، فإنها هي المساجد الملعون من بناها على قبورهم، وإن لم يسمها من بناها مساجد. وفيه رد على من أجاز البناء على قبور العلماء والصالحين تميزاً لهم عن غيرهم. فإذا كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعن من بنى المساجد على قبور الأنبياء فكيف بمن بناها على قبور غيرهم!

(من تيسير العزيز الحميد)

---

(٣٣) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣٤)

وقال تعالى مخبراً عن رسوله :

﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ (٣٥)

وقوله : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٣٦)

وإذا علمتم أن الشرك حدث بسبب الغلو في الصالحين، وأنه إنما جاءَت الرسل من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفـراد الله بالعبـادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مُقِرّون بذلك، كما قرّرناه وكررناه.

ولذا قالوا :

---

(٣٤) سورة لقمان : الآية ٣٤ . (٣٥) سورة الأعراف : الآية ١٨٨ .

(٣٦) سورة النمل : الآية ٦٥ .

وهذه الآية كما ترى انفراده بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : (من زعم أن محمداً يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله). وكونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبر ببعض المغيبات فهو من وحي الله له.

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[37]

أى لنفرده بالعبادة ونخصه بها من دون آلهتنا.

أنواع العبادة وأدلتها

اعلموا أن من أنواع العبادة ـ كما سبق ـ الركوع والسجود، والطواف، والنذر، والذبح، والاستغاثة، والاستعانة، والحلف، والتوكل، إلى غير ذلك مما مرّ فدليل الركوع والسجود قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[38]

ودليل الصلاة والذبح قوله :

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[39]

---

(٣٧) سورة الأعراف : الآية ٧٠. (٣٨) سورة الحج : الآية ٧٧.

(٣٩) سورة الأنعام : الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣.

وقوله :

« فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ »(٤٠)

وللحديث الصحيح : (لعن الله من ذبح لغير الله).

ودليل النذر والطواف قوله تعالى :

« وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ »(٤١)

ودليل الحلف، الحديث الوارد عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (من حلف بغير الله فقد أشرك). وفي لفظ (فقد كفر).

ودليل الاستعانة، قوله تعالى :

« إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ »

---

(٤٠) سورة الكوثر : الآيتان ٢، ٣.

(٤١) سورة الحج : الآية ٢٩.

أي لا ينذروا لغير الله، ولا يطوفوا بغير البيت العتيق، فلا يجوز النذر للأولياء ولا للصالحين، ولا الطواف بقبورهم كما يفعله الجاهلون بقبر الجيلاني والحسين والبدوي والدسوقي وغيرهم، فإن هذا شرك لا مراء فيه. وكثير من المبتدعين الجاهلين المخرفين ينذر للصالحين، وبعضهم يرسل أموالا من بلدان الخليج العربي لقبور =

الأولياء - بزعمهم - في إيران، للسدنة ولتعمير القباب!!.

كما يفعل ذلك كثير من الهنود والباكستانيين، بنذرهم لعبد القادر الجيلاني أموالا طائلة، وإرسالهم إلى ضريحه أموالا وافرة، هذا ممن زعم أنه من أهل السنة.

وأما شيعة الهنود والباكستانيين والايرانيين، فإنهم ينذرون أموالا لقبور أهل البيت في النجف وكربلاء، وخراسان وقم، ويشدون الرحال من مختلف الأقطار إلى تلك القبور، للطواف بها، والاستغاثة بساكنيها، وطلب قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، مما لا يقدرّ عليه إلا خالق الأرض والسموات.

وكما لا يجوز النذر لقبور الأولياء والصالحين، فكذا لا يجوز الوقف من بيوت وعقار على قبورهم، فمن نذر لغير الله فلا يجب عليه الوفاء، بل يستغفر الله ويتوب إليه. ويأتي بالشهادتين، لأنه مرتد إن علم أن النذر لغير الله شرك.

ومن وقف عقاراً أو حيواناً على قبور الأولياء، فوقفه باطل أو وصىّ لها، فوصيته باطلة، وذلك العقار أو الحيوان لا زال على ملك صاحبه، نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق.

وقول بعضهم : أن النذر لله والثواب للولي، كلام باطل وضلال عاطل، فأي شيء أدخل الولي هنا، إن كان قصده الصدقة فليتصدق على الفقراء عن نفسه وعن أبويه وأقاربه. وما يدريه بأن صاحب هذا القبر ولي!! والأمور بخواتمها. فقد يكون ظاهره صدِّيقاً وباطنه زنديقاً.

والحديث الصحيح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (أذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله).

ودليل الخوف، قوله تعالى :

« وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ »[42]

ودليل التوكل، قوله تعالى :

« وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ »[43]

= ويظهر كذبهم وضلالهم أنهم يأخذون الأغنام ويذبحونها عند القبر، فأذا أنكرت عليهم قالوا : الذبح لله والثواب للولي، وليس القصد من هذا إلا التلبيس وقلب الحقائق، وهم لم يقصدوا إلا الولي.

على أن العلماء قد صرحوا: أن لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، للحديث عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانه، فسأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: «هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا فقال رسول الله: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود.

(٤٢) سورة آل عمران : الآية ١٧٥.

(٤٣) سورة المائدة : الآية ٢٣.

ودليل الرهبة، قوله تعالى : « فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ »[٤٤]

ودليل الاستغاثة، قوله تعالى :

« وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ »[٤٥]

وهذا خطاب للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما ترى أي لا تدع يامحمد من دون معبودك وخالقك شيئا لا ينفعك فى الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرّك في دين ولا دنيا ـ يعني بذلك الآلهة والأصنام ـ فإن فعلت : فدعوتها من دون الله ، فإنك إذاً من الظالمين، أى المشركين بالله والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ معصوم من الشرك ومن كبائر الذنوب[٤٦] وإنما هذا تعليم للأمة.

وقوله : « وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ »[٤٧]

---

(٤٤) سورة النحل : الآية ٥١ .

(٤٥) سورة يونس : الآية ١٠٦ .

(٤٦) قيل : ومن صغائرها أيضاً.

(٤٧) سورة يونس : الآية ١٠٧ .

وقوله : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ »[48]

والمستغيث بالرسول إنما ينادي ويدعو غير الله، كأن يستغيث قائلا : يارسول الله أنقذني من هذه الشدة، أو ياعبد القادر، أو يا دسوقي، أو يارفاعي، أو يابدوي . . إلخ .

ولا ريب أن المستغيث بغير الله داخل فى هذه الآية وأمثالها .

وكيف يستغيب العاقل المؤمن بغير الله، وهو يقرأ هذه الآيات أو يسمعها؟! .

ومنها قوله تعالى :

« أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ »[49]

---

(٤٨) سورة الأحقاف : الآيتان ٥ ، ٦ . (٤٩) سورة النمل : الآية٦٢ .

بيّن الله في هذه الآية، أن المشركين من العرب ونحوهم كانوا يعلمون أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله وحده، فذكر ذلك محتجاً عليهم في اتخاذهم الشفعاءَ من دونه، ولهذا قال: «أإلٰه مَعَ الله» بالاستفهام الإنكاري، أي ليس إله مع الله يجيب المضطر ويكشف السوء.

(*) قال العبادي في منظومته «هداية المريد»:

ومن يقل غير الإله يملك	ضراً ونفعاً فهو أيضاً مشرك
ومن ينادي ميتاً أو غائباً	ويرتجيه راغباً وراهبا
لدفع ضر أو حصول نفع	فذاك شرك عند أهل الشرع
كمن ينادي مستغيثاً بأحد	أو مستعيناً أو رجا منه الولد
إذ ذاك في العادة ليس يقدر	عليه إلا الواحد المقتدر
وكل ما استحال فى العادات	كطلب الأحياء من الأصوات
فلم يجز لمسلم أن يفعله	وأنكر الشرع على من فعله
فما لكم يا معشر الجهال	تدعون غير الله ذي الجلال
في جلب نفع أو لدفع ضر	أو برء سقم وارتفاع شر
من ليس يغني نفسه من ضرها	ولم يطق إنقاذها من فقرها
وتستمدون من الأموات	تيسير عسر وقضا الحاجات
ألم تروا أن الدعا عبادة	لا يمترى فيه ذوو الشهادة
فمن دعا غير الإله أحدا	يمنحه الخير ويكفيه الردى

وروى الطبراني بإسناده : أنه كان في زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ منافق يؤذى المؤمنين، فقال بعضهم : قوموا بنا نَسْتَغِثْ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذا المنافق، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم : إنه لا يستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله».

الركوع والسجود والنذر لغير الله

فمن ركع أو سَجَدَ لِحَيٍّ أو لمَيت، أو نَذَر لغير الله، كأن ينذر لقبور الأولياء أو الصالحين، أو يذبح لهم، أو للأشجار أو للعيون.

أو يطوف بقبر نبي أو ولي. كأن يطوف بقبر الرسول أو بقبر عليّ بن أبي طالب، أو بقبر الحسين أو الحسن، أو عليّ بن موسى الرضا، أو عبد القادر الجيلاني، أو البدوي، أو الرفاعي أو غيرهم.

أو يستغيث بهم في الشدائد، كأن يقول: يا رسول الله

= فإنه لمن دعاه عابد ... سواء الجاهل والمعاند
وفي ثبوت النهي في الكتاب ... دلائل لمبتغى الصواب
يكفيك أن الله قال ادعوني ... كمثل ما قد قال فاعبدوني

أنقـدني ، يا رسول الله فرّج عني هذا الكرب . المدد يا عبد القادر ياجيلاني ، أو يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله ، كأن يطلب عافـية من مرض له أو لغيره ، أو قدوم غائب ، أو يرزقه ولداً ، أو يأتي له برزق ، أو يفرج عنه شدة وكربة ، أو نحو ذلك من الأمور التي ليست في قدرة المخلوق أن يفعلها . فإنه يكون بكل فعل من هذه الأفعال مشركاً بالله العظيم شركاً أكبر ، لا يغفر الله له إلا أن يتوب .

لقوله تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا »(٥٠)

أما ما كان في إمكان المخلوق الحي ، فلا بأس بأن تستعين به .

(٥٠) سورة النساء : الآية ٤٨ .

قال شيخ الإسـلام : الشرك نوعـان : أكـبر وأصغـر . فمن خلص منهما وجبت له الجنة . ومن مات على الأكبر وجبت له النار ، ومن خلص من الأكـبر وحصل له بعض الأصغر ، مع حسنات راجحـة على ذنوبه دخل الجنة ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغـر حتى رجحت به سيئاته دخل النار . فالشرك يؤاخذ به العبـد . إذا كان أكبر . أو كان كثيراً أصغر ، والأصغر القليل في ==

مثل أن تطلب منه أن يعينك في قضاءِ حاجة، أو إنقاذ من غرق أو حريق أو ما سوى ذلك.

الآيات الآمرة بعبادته
والمبينة عجز المعبودات الباطلة

هذا وقد أكثر الله في كتابه المجيد من الآيات الآمرة بعبادته والحاثَّة عليها. كما قال الله :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »(٥١)

جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به. ا.هـ (من تيسير العزيز الحميد).

فالشرك الأكبر، كالسجود والنذر لغير الله، والأصغر كالرياء والحلف بغير الله - إذا لم يقصد تعظيم المخلوق كتعظيم الله.

فتنـــة الشرك ومـــا من فتنـــة ... مثـــلهـــا بين الـــبرايا توجـــد
ليس غير الله في سلطانـــه ... من إلـــه يتـــقـــي أو يعـــبـــد
مالـــك المـــلك تعـــالى ما له ... في علاء من شريك يعـــبـــد

للشاعر أحمد محرم.

(٥١) سورة البقرة : الآية ٢١.

وقال الله : « وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا »[٥٢]

وقال : « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا »[٥٣]

وقال مبيناً عجز تلك الآلهة التي عبدها المشركون من أن تجلب لهم نفعاً، أو تدفع عنهم ضراً. بل ولا تدفع عن نفسها فضلا عن غيرها.

فقال : « إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ »[٥٤]

وقال مبيناً أن النفع والضر بيده لا بيد غيره، بقوله : « وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ »[٥٥]

---

(٥٢) سورة النساء : الآية ٣٦.

(٥٣) سورة الإسراء : الآية ٢٣.

(٥٤) سورة الحج : الاية ٧٣.

(٥٥) سورة يونس : الآية ١٠٧

وأخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه يبكت المسيحيين ويوبخهم على عبادتهم للمسيح .

قال تعالى : « وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ »(٥٦)

فانظر وكيف يتبرأ المسيح من عُبّاده المسيحيين ، ويقول :

« مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ »

---

(٥٦) سورة المائدة : الآيتان ١١٦ ، ١١٧ .

والله يعلم أن المسيح لم يأْمـر بعبادته، ولا يرضى بذلك ولكن يريد الله من هذه الآيات أن يبين للناس أن عبادة المسيح الـذي هو من الأنبياءِ المرسلين لا تجوز. بل ويكون شِرْكاً. فكيف بعبادة غيره من الأولياء، ومن الأَشجار، ومن الغيران والكهوف!!.

ألم يسمع هؤلاء الضالون قول الله مخاطباً لسيد العالمين :

« وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ »[57]

فإذا كان الضرّالنازل بالرسول لا يستطيع أن يدفعه، فكيف يستطيع الرسول وأولى من هو دونه أن يدفع ضراً نزل بغيره؟!.

ألم يسمع هؤلاء قول الله العظيم :

« وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ »[58]

ألم ينع على اليهود والنصارى باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، كما قال الله تعالى :

---

(٥٧) سورة يونس الآية ١٠٧.

(٥٨) سورة آل عمران الآية ٨٠.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾(٥٩)

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية وجهل الكثيرين به

فالواجب على كل مسلم أن يميز الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، لأنه قد أخطأ فيهما كثير من العلماء، فضلا عن الجهلاءِ.

وذلك أن أولئك المخطئين فسروا كلمة (الإله) بالقادر على الاختراع، أو الخالق، أو المالك.

---

(٥٩) سورة التوبة الآية ٣١.

روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه ـ عن عدى بن حاتم، أنه سمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ هذه الآية، قال فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه! ويحلون ما حرم الله فتحلونه!» فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم».

والحـال أن الأَمـر ليس كذلك، بل الإِله يطلق على كل

= فأنت ترى أن الحديث يصرّح أن عبادة الأحبار والرهبان هي طاعتهم في تحريم الحلال، وتحليل الحرام، وهو طاعتهم في خلاف حكم الله ورسوله.

قال شيخ الإسـلام : ما معنـاه مختصراً : إن هؤلاء المقلدين الـذين اتخـذوا الأحبار أرباباً في تحليل ما حرم الله، وعكسه، يكونون على وجهين.

أحـدهمـا : يعلمـون أن الأحبـار والرهبان قد بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وعكسه، إتباعاً لرؤسائهم، فهذا كفر. وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلّون لهم ويسجدون.

الثاني : يعتقدون تحريم الحرام، وعكسه، لكن أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. أهـ.

ومثل هؤلاء، المقلدون للمجتهدين، الذين يخالفون آي القرآن ونص الحديث الصحيح الآتي بخلاف مذهبهم، فيجمدون على المـذهب ويتعصبـون له بحجـة أن صاحب المـذهب أعلم منـا والمتحـذلق منهم يؤول الآية على حسب أهـوائـه ومذهبه، ويرد الحديث بلعله لم يصح عند إمامنا، أو لعل له ناسخاً أو مخصصاً لا نعلمه، ونحو ذلك من الأعذار الواهية والشبهات الداحضة، وأين هؤلاء من هذه الآية الشريفة. ومن قوله تعالى : «اتبعوا ما =

معبود بحق أو باطل[٦٠] ولهذا لمّا قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمشركي قريش : (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم).

قالوا : « أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ »[٦١]

أنـزل إليكم من ربكم، ولا تتبعـوا من دونـه أولياء، قليلا ما تذكـرّون » ومـن قولـه : «فـإن تنـازعتم في شيء فردون إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير وأحسن تأويلا».

على أن الأئمة ـ رحمهم الله ـ لهم الفضل في تدوين العلوم. ومكانتهم لا تخفى. وقد نهوا عن تقليدهم وتقليد غيرهم، وليس كلامنا في العاجز. أو من لم يظهر له الدليل، فإن هذا لا بأس له أن يقلد. وإنما كلامنا فيمن حوى من العلوم ما يمكنه من فهم الآيات والأحاديث، أو ظهر له الدليل بخلاف المذهب وإن لم يحو من العلم شيئاً كثيراً. فإن مثل هذا لا عذر له في ترك النص والأخذ بالتقليد.

(٦٠) هذا أصل وضعه في اللغة، ثم غلب على المعبود بحق.

(٦١) سورة ص : الآيات ٥ ، ٦ ، ٧ .

وأما لفظ الجلالة، فلا يطلق إلا على الله العظيم، فمشركو العرب كانوا أَعرف بمعنى الإله من مشركي زماننا.

والبلية كل البلية، والجهل كل الجهل، أن الكثيرين ممن ينـطقون بشهادة أن لا إله إلا الله وأَن محمداً رسول الله، لا يعرفون معنى هاتين الكلمتين !!.

معنى لا إله إلا الله[٦٢]

فلو عرفـوا أن معنى (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق فى الوجود إلا الله.

---

(٦٢) شروط لا إله إلا الله سبعة:

(١) العلم المنافي للجهل، فمن لم يعرف المعنى فهو جاهل بمدلولها. ومعناها البراءة من كل ما يعبد من دون الله. وإخلاص العبادة لله وحده.

(٢) اليقين المنافي للشك. لأن من الناس من يقولها وهو شاك فيما دلت عليه من معناها.

(٣) الإخلاص المنافي للشرك، فإن من لم يخلص أعماله كلها لله فهو مشرك شركاً ينافي الإخلاص، كما قال تعالى: «قل إني أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين».

فلا إله : نفي لجميع المعبودات الباطلة.

وإلا الله : إثبات للمعبود الحق جل جلاله.

ولـو عرفـوا هذا المعنى، وعـرفوا أن ما يأتون به لأوليائهم وسادتهم وقبور صالحيهم، من الذبح أو النذر لهم، أو التبرك

---

(٤) الصدق المنافي للنفاق : لأن المنافقين يقولونها. ولكنهم لم يطابق قولهم مافي جنانهم فصار قولهم كذباً، لمخالفة الظاهر للباطن. كما أخبر الله عنهم : «يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم».

(٥) القبول المنافي للرد : لأن في الناس من يقولها مع معرفة معناها، لكن لا يقبل ممن دعاه إليها، إما كبراً وإما حسداً، أو غير ذلك من الأسباب.

(٦) الانقياد المنـافي للترك : ويحصل الانقياد بالعمل بما فرضه الله، وترك ما حرّم الله، والتزام ذلك. لأن الإسلام حقيقته أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله، وينقاد له بالتوحيد والطاعة، كما قال الله : «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى».

(٧) المحبة المنافية لردها : فلا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بالمحبة، لما دلت عليه من الإخلاص المنافي للشرك، فمن أحب الله أحب دينه، ومن لا، فلا. اهـ. (ملخصاً من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله).

بتراب قبورهم، أو الصلاة إليها، أو الطواف بأضرحتهم، أو طلب قضاء حاجة منهم، لو عرفوا أن ذلك تأليه لأولئك الصالحين. والإلهية لا تصلح إلا لله لعلموا أن هذا شرك أكبر، وقد قال الله تعالى :

« إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ »(٦٣)

وإذ ذكرت للقارىء شروط لا إله إلا الله، ولا إله إلا الله هي كلمة التقوى ومفتاح الإسلام ومفتاح الجنة. دار السلام.

نواقض الاسلام

من الجدير أن أذكر نواقض الإسلام، فهاك بيانها :

الأول : الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى :

(٦٣) سورة المائدة : الآية ٧٢.

« إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ » ، « إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ » .

ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثانى : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً .

الثالث : من لم يُكَفِّرْ المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع : من اعتقد أن غير هدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ولو عمل به فقد كفر.

السادس : من استهزإ بشيءٍ من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه والدليل قوله تعالى :

« قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ » .

السابع : السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر والدليل قوله تعالى :

« وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ » .

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى :

« وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ » .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد، كما وسع الخروج عن شريعة موسى ـ عليه السلام ـ فهو كافر.

العاشر : الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ .

ولا فرق في جميع هذه النـواقض، بين الهـازل والجـاد والخائف، إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكـون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه(٦٤).

معنى محمد رسول الله

ولو عرفوا أن معنى (أشهد أن محمداً رسول الله) : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبدوا الله إلا بما شرع، لا بالأهواءِ والبدع، وتأملوا قول الله تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾(٦٥)

وقوله :

---

(٦٤) كتاب (مجموعة التوحيد).

(٦٥) سورة الحشر : الآية ٧.

« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »(٦٦)

وقوله : « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ »(٦٧) أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٨)

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (من عمل عملا ليس عَلَيْهِ أمرنا فهو رد)(٦٩).

وقوله في الحديث الشريف : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) رواه أبو داود والترمذي، وقال حديث حسن صحيح . لعلموا أن كثيراً من صلواتهم وأدعيتهم وأذكارهم وأحزابهم مما ابتدعه بعض

---

(٦٦) سورة النساء : الآية ٦٥.

(٦٧) أمره : أي أمر الرسول، فتنة : أي شرك أو كفر.

(٦٨) سورة النور : الآية ٦٣.

(٦٩) رواه مسلم من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ والمتفق عليه «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أي مردود على صاحبه.

الفقهـاء الجـامـدين، أو المتصوفة المبطلين، أنها من البدع[٧٠] والضلالات التي ما أنزل الله بها من سلطان، مثل الذكر بالإسم المفرد : (الله الله، أو يا هو يا هو).

ومثل حلق المريدين (إجتماعهم فى حلقات) الذين يزعمون أنهم يذكرون الله بمثل هذه الأذكار المخترعة.

---

(٧٠) البدعة : لغة : الأمر المحدث الذي لم يسبق له نظير، لأن مادة بدع للاختراع.

وعـرّف علماء الفقـه والحـديث البـدعـة بتعـاريف، أحسنها وأوضحها : الأمر المحدث بعد الرسول، بقصد التقرّب إلى الله، فبقصد التقربّ خرجت البدعة الدنيوية كإحداث البارود والقهوة والمنـاخـل والسيارات والطائرات وما أشبه ذلك. وتقسيم بعض العلماء البدعة إلى حسنة وقبيحة، تقسيم باطل لا مستند له من الشرع.

والتقسيم الصحيح أنها قسمان : دينية ودنيوية، وقد عرفتهما مما سبق، وليس لتقسيمهم إلى حسنة وقبيحة أصل وهو ينافي القرآن والحديث. وإليك البيان على وجه الاختصار :

(١) أما القرآن. فقد قال الله : «اليوم أكملت لكم دينكم» فما انتقل الرسول من الدنيا إلا والدين كامل لا يحتاج إلى الزيادة.

ونضيف إلى ذلـك : أن التشريع من حق رب العـالمين،

وكصلاة الرغائب[71] ومثل حزب البحر وأمثاله. وابتهالات وصلوات ومناجاة وإنشاد قصائد في مدح النبي - صلى الله عليه

وليس من حق البشر، ولئن جازت الزيادة في الدين، جاز النقص، ولا قائل بذلك.

بدين المسلمين، إن جاز زيد فجاز النقص أيضاً أن يكونا
كفى ذا القول قبحاً ياخليلي ولا يرضاه إلا الجاهلونا

(٢) وأما الحديث: ففي الصحيح: أياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» ولفظ كل للعموم. ولا يخرج فرد من الأفرادالمبتدعة إلا بمخصص، فاين المخصص هنا، حتى يقال: هذه بدعة حسنة وخرجت من حيز العموم. فإن كان المخصص حديث (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله أحسن).

فالجواب: أولا: أن هذا ليس بحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بل من كلام ابن مسعود.

وثانياً: إن (ال) في كلمة المسلمون، إن كان للاستغراق، أي كل المسلمين فإجماع، والإجماع حجة ولا كلام فيه، وإن كان للجنس فيستحسن بعض المسلمين هذا الأمر ويستقبحه البعض الآخر، كما هو الواقع في أكثر البدع وعليه فقد سقط الاحتجاج بهذا الأثر.

(٧١) من أشنع البدع وأقبحها بدعة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة،

وسلم ـ فوق المنائر قبل الفجر وفي ليلة الجمعة ويومها، وبعض صيغ صلوات على الرسول لم ترد السنة بها.

مثل قولهم : اللهم صل على محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله.

وكقولهم : اللهم صل على محمد كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون.

لأن الصلاة على الرسول من أجلّ القربات، كيف لا وقد أمرنا الله بها فى كتابه المجيد، بقوله :

« إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا »(٧٢).

والصيغ الواردة فى الصلاة على الرسول مدوّنة في كتب السنة لا حاجة إلى الاختراع والابتداع في صيغها.

بحجة أن العدد ناقص عن الأربعين، أو أن المأمومين لا يحسنون القـراءة. فإن هذه البـدعة الضالة تجر إلى الكفر، إن اعتقد أن صلاة الظهر بعد الجمعة فرض وإلى البدعة والضلال، إن اعتقد أنها سنة.

(٧٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٦.

لأن الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبادة والعبادة مبنية على التوقيف.

من صيغ الصلاة على الرسول

ومن الصيغ الواردة للصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما رواه مسلم عن ابن نمير، عن روح بن عبادة، وعبدالله بن نافع الصائغ، أنهم قالوا : يارسول الله : كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد). وكما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال : «قلنا : يارسول الله ، هذا السلام عليك عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على آل إبراهيم».

شبهة للقبوريين وردها

وإنما قلنا : يجب على المسلم أن يميز بين توحيد الأُلوهية وتوحيد الربوبية، لأَن الموحد إذا أنكر عليهم ما يأْتون من

أفانين العبادات، وأنواع التضرعات لتلك القبور، وقال لهم : إن عملكم هذا شرك، غضبوا وقالوا: كيف تصفنا بالشرك ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت وبيده النفع والضر، وإليه المرجع والمصير؟. وغاية الأمر أننا نجعل هؤلاء الأنبياءَ أو الصلحاءَ شُفَعَاءَ يشفعون لنا عند الله، لأننا ملطخون بأنجاس الذنوب، ليس لنا قدر حتى نطلب من الله أن يغفر ذنوبنا، أو يقضى حاجتنا، أو يدفع ضرنا، فنستشفع بهؤلاء ونجعلهم وسطاءَ بيننا وبين الله، لما نعلم ما لهم من الجاه والمنزلة بمثابة الوزير عند الملك.

حيث إن أفراد الرعية لا يستطيعون أن يصلوا إلى الملك إذا حل بهم ظلم أو كارثة. فيتوسلون بالوزير أو المقرب، ليشفع لهم عند الملك أو السلطان، أو الوزير ليقضى الملك حوائجهم أو يدفع عنهم الظلم.

فنقول لهؤلاء الجهلاء في الجواب :

أولا : إن عقيدتكم هذه هي عقيدة المشركين بذاتها.

قال الله إخباراً عن المشركين السالفين :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٧٣)

وقال الله في آية أُخرى إخباراً عنهم :

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(٧٤)

فاعتقاد أُولئك المشركين بأن الله خالقهم ورازقهم . . إلخ لم ينفعهم ، ولم يحقن دماءهم . لأنهم عبدوا الأصنام ليقربوهم إلى الله ، وليشفعوا لهم .

لم يعبدوها لأنها خالقة ورازقة ، ومدبرة للأُمور(٧٥) .

ولا يخفى هذا على أحد قرأ القرآن وتدبّره .

---

(٧٣) سورة يونس : الآية ١٨ . (٧٤) سورة الزمر : الآية ٣ .

(٧٥) إذ لا يتصور عاقل عرف حال المشركين ، وما أُوتوا من فهم وعقل =

تشبيه الخالق بالمخلوق

وثانياً : إن هؤلاء الجهلاءَ، قد شبهوا الرب العظيم بالملك البشرى.

قد شبهوا رب العالمين بالسلطان المخلوق من ماءٍ مهين.

قد شبهوا أعدل العادلين وأرحم الراحمين، بالملك المخلوق الذي قد يكون من أظلم الظالمين.

قد شبهوا الله بالمخلوق وتوسلوا إليه بالشفعاءِ والأَنداد فجمعوا بين الشرك والتشبيه، ولم يعلموا أنه لا يقاس الإله بالمخلوق ولا الرب المالك بالمملوك.

وبيان ذلك على وجه الاختصار، أن الملك البشرى قد لا يعلم بالظلم الواقع على ذلك المتوسل بالوزير، أو يعلم أن الظلم الواقع من أحد أبنائه أو عشيرته، ممن يجاملهم ولا يريد أن يجرح عواطفهم أو أن الظلم صدر منه على ذلك.

= أن ينحتوا أصناماً بأيديهم ويعتقدوا أنها خالقة ورازقة ومدبرة، ولا يوجد عاقل يعتقد ذلك، لا في الوثنيين السالفين، ولا الحاضرين، ولكن عبدوها على أنها صور قوم صالحين، وتقربوا إليها بالعبادات لكي تشفع لهم عند الله، كما نطق القرآن بذلك.

فأنى يقاس الخالق بالمخلوق؟! .

فهل الله لا يعلم بالظلم الواقع على هذا العبد؟ أو لا يعلم بحاجته، أو بالضر الذي مسّه؟! وهو القائل :

« يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ » (٧٦)

وهل الله يصدر منه الظلم لأحد؟! .

أو له أقرباء ينزلون ظلمهم بأحد من العباد؟! .

وهل لله وزير أو مُعين أو ظهير؟! حتى يتوسل إليه العباد، ليشفع لهم عند الله ذلك الوزير أو المعين أو الظهير؟

فما أفسد هذا القياس وأخبثه، وما أجهل هؤلاء وأكفرهم بالله

لا واسطة بين الخالق والمخلوق إلا فى تَبليغ الشرائع

وأي حاجة إلى واسطة والله يقول :

(٧٦) سورة غافر : الآية ١٩ .

« وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » (٧٧)

ويقول :

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ » (٧٨)

والواسطة للتبليغ هم الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام. أما الواسطة فى رفع ضر أو جلب نفع، فتلك عقيدة المشركين.

كيف تكون واسطة بين العبد وربه، وقد قال الله تعالى :

« وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » (٧٩)

لم يقل الله : ادعو أوليائي، أو ادعوا أنبيائي، أو استغيثوا بأحبائي والصالحين من عبادى.

---

(٧٧) سورة ق : الآية ١٦.

(٧٨) سورة البقرة : الآية ١٨٦.

(٧٩) سورة غافر : الآية ٦٠، داخرين : صاغرين.

بل قال : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ .

وقال :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ (٨٠)

وفى الحديث الشريف : (من لم يسأل الله يغضب عليه) .

كما ورد في الحديث : (ادعو الله وأنتم موقنون بالإِجابة) .

ولم يقل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ادعوا الأنبياءَ حتى يطلبوا من الله لكم ، أو توسلوا بالأنبياء والصالحين .

عدم ثبوت التوسل عن النبي وأصحابه

ولذا لم يثبت التوسل عن الأنبياءِ بعضهم ببعض ، كما لم يثبت التوسل عن الصحابة بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يثبت عن التابعين ، ولا عن الأئمة المعتبرين .

التوسل قسمان : مشروع وممنوع .

---

(٨٠) سورة البقرة : الآية ١٨٦ .

أما المشروع فهو قسمان أيضاً :

القسم الأول : هو التوسل بالإيمان بالله وبرسوله، وبالأعمال الصالحة.

ولم يقع فى هذا خلاف بين العلماء، سواء كان في حياة الرسول أو بعد موته.

القسم الثاني من المشروع : التوسل بدعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم كان حيًّا، بأن يأتي السائل فيسأل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يطلب له من الله العافية.

كما طلب الأعرابي من الرسول أن يستسقي لهم.

وكما طلب الأعمى من الرسول أن يدعو له برد بصره ـ إن صح حديث الأعمى[81]

(٨١) لم يصح حديث الأعمى، وهو حديث عثمان بن حنيف. قال في (صيانة الإنسان) هو غير ثابت، لأن في سنده أبا جعفر الرازي، وهو سيىء الحفظ، يهم كثيراً، فلا يحتج بما ينفرد به. ا.هـ.

وعلى فرض صحته، فأنه توسل بدعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن في الحديث عن عثمان بن حنيف : أن رجلا ضريراً أتى النبي، فقال : يانبي الله ادع الله أن يعافيني. قال : إن شئت

وكما طلبت الجارية السوداءُ - التي كانت تصرع - أن يعافيها الله، فخيّرها الرسول بين الصبر وبين أن يدعو لها، فاختارت الصبر، وسألت أن يدعو الله ألا تتكشف عندما يأتيها الصرع.

وهذا التوسل الذي هو بدعائه قد انقطع بموته - صلى الله عليه وسلم.

فلا يجوز لمسلم أن يأتي قبر رسول الله، ويسأله حاجة أو غفران ذنب، أو كشف ضر.

والدليل على ذلك: أن في خلافة عمر بن الخطاب، إنقطع المطر وأراد عمر أن يستسقي، وطلب من العباس بن عبدالمطلب أن يدعو لهم بالاستسقاء، فقال: اللهم إنا كنا إذا

= أخرت ذلك فهو خير لآخرتك، وإن شئت دعوت لك. قال: لا بل ادع الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين، وأن يدعو بالدعاء المذكور في الحديث. فالحديث نص في التوسل بدعائه - صلى الله عليه وسلم - والتوسل بدعاء الرسول وغيره في الحياة جائز لا خلاف فيه. وليس في هذا الحديث: أسألك بحق محمد، أو بجاه محمد، حتى يصح استدلالهم.

أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، ثم قال : قم يا عباس فادع الله لنا، رواه البخاري.

فلو كان التوسل بالرسول بعد موته جائزاً، لما عدلت الصحابة عن الرسول إلى العباس بن عبدالمطلب، وهذا من الوضوح بمكان لا يخفى، إلا من أعماه التعصب والعناد، وسلك سبيل أهل الضلال والفساد.

ولزيادة الإيضاح والبيان، نورد لكم بعض أدعية الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام.

فهذا أبونا آدم، لمَّا اقترف الخطيئة قال :

« رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ »(٨٢).

فلم يتوسل أبونا آدم بمحمد، كما زعم الزاعمون، وأوردوه حديثاً عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : لمَّا اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمدٍ لما غفرت لي فقال الله : ياآدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟. قال : يارب لأنك لما خلقتني

---

(٨٢) سورة الأعراف : الآية ٢٣.

بيدك، ونفخت في من روحك رفعت رأْسي فرأَيت على قوائم العرش مكتوباً «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فعلمت أنك لم تضف إلى إسمك إلاَّ أحب الخلق إليك.

فقال الله : صدقت ياآدم، إنه لأَحب الخلق إليّ، ادعني بحقه. فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك. رواه الحاكم في مستدركه.

وقد أجاب أهل العلم : أن الحاكم متساهل فى تصحيح الأحاديث، حتى اتهمه بعضهم بسوءِ العقيدة.

فقد قال الذهبي في تعليقه على المستدرك، في خصوص هذا الحديث : إنه حديث موضوع، فلا حجة في موضوع، بل ولا في ضعيف.

أدعية الرسل

وإذ سمعتم دعاء آدم ـ عليه السلام ـ فاسمعوا دعاء نوح، كما أخبر الله عنه : « رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا

تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَـارًا »[83]

وقال الله عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ :

« رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ »[84]

وقال الله مخبراً عن أيوب :

« وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ »[85]

وعن يونس، لما التقمه الحوت : « وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (87)
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ »[86]

---

(٨٣) سورة نوح : الآية ٢٨ . (٨٤) سورة إبراهيم : الآية ٤١ .
دعاء إبراهيم لوالده، قبل أن يتبين له أنه عدو الله، كما أخبر الله عنه «فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم»

(٨٥) سورة الأنبياء : الآية ٨٣.

(٨٦) سورة الأنبياء : الآيتان ٨٧، ٨٨.

وعن زكريا :

« وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ »(٨٧)

وعن يوسف ـ عليه السلام :

« ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ »(٨٨)

وأدعية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرة مبثوثة في كتب السنة، وفي كتب الأذكار، ومنها :

(اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي وبدني . . إلى آخر الدعاء . . .).

ومنها دعاءُ سيد الاستغفار المشهور.

(٨٧) سورة الأنبياء : الآيتان ٨٩، ٩٠.

(٨٨) سورة يوسف : الآية ١٠١

ومنها دعاءُ (اللهم إنا ندعوك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا . . . إلخ).

فهل يستطيع أحد من هؤلاء أن يأتي بحرف من القرآن أو من السنة الصحيحة على مشروعية التوسل بالصالحين، أو الأنبياء والمرسلين، فضلا عن الاستغاثة بالرسول أو بغيره.

فان الاستغاثة بغير الله شرك لا ريب فيه، وأما التوسل فهو بدعة، لا كفر.

ومن الأدلة الدّالة على أن التوسل يكون بالأعمال الصالحة، ما جاء في الحديث عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فتوسل أحدهم ببر والديه، والثاني توسل بعفته من الزنا بعد أن جلس من المرأة مجلس الرجال من النساءِ والثالث توسل بتنمية أجر الأجير، بعد أن ذهب وترك أُجرته، ثم رجع بعد مدة طويلة وطلب أُجرته فردها عليه فإذا هي مال كثير.

إحتجاجهم بآية :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ »[89].

والجواب عنها : أن الوسيلة هنا معناها : التقرّب إلى الله بالأعمال الصالحة، أو بأسمائه وصفاته، كما بيّنا في التوسل المشروع، لا كما يقول المبتدعون، أن نجعل الأنبياءَ والصالحين شفعاء ووسطاء. ويقولون إنها من الوسائل المأمور بها، ويفسرون الآية بها.

أو يزعمون أن الشفاعة ثابتة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن نسأله، لأن الله قد منحه إيّاها.

إثبات الشفاعة للرسول

فالجواب : لا ريب أن للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شفاعات متعددة أعظمها : الشفاعة العظمى يوم القيامة لإراحة الناس من عناء الموقف العظيم، وهذه الشفاعة مخصوصة برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

(٨٩) سورة المائدة : الآية ٣٥.

ولـه شفـاعـة أخـرى في إخراج بعض من دخل النار من الموحدين، وأُخرى فى رفع درجات المؤمنين في الجنة.

ولكن اعتقادنا بثبوت الشفاعة له، لا يسوغ للمسلم اتكالا على هذه الشفـاعة أن يسأل رسول الله في الدنيا شفاعته أو غفران ذنوبه، كأن يقول : يا محمد اشفع لي، يا محمد اغفر لي ذنبي، أدركني، أستجير بك ممن ظلمنى، أو أسألك يا محمد الشفاعة، فإن ذلك كله لا يجوز.

بل يقول : اللهم ارزقني شفاعة محمد، اللهم شفِّع فيَّ محمداً. أو يقول : اللهم لا تحرمني من شفاعة محمد.

فإذا لم يجز للإنسان أن يقول مخاطباً لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إشفع لي، أو أغثني، أو أستجير بك. فأولى أن لا يجوز بغيره من الأولياء والصالحين. ولا يغتر بقول بعض الشعراء :

يا أكـرم الـخـلق ما لي من ألـوذ به
سواك عنـد حلول الـحـادث العمِمِ

فإن هذا الكلام شرك وضلال، ولكن الله أعلم بقائله، هل مات على هذا أو تاب.

يقول : ما لي من ألوذ به، ونقول له :

لذ بالإلـــه ولا تلذ بســـواه.
من لاذ بالـــمـــلك الـــجليل كفـــاه

حجج المبتدعة
في جواز التوسل والاستغاثة

وقد كثر في كلام بعض الشعراء من الاستغاثات والنداءَات لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولغيره[٩٠] ، كما كثر في كلام المتأخرين من التوسلات والاستغاثات وتجويزهم لهما

---

(٩٠) كما قال بعضهم :

وحـــل عقـــدة قلبي يا محمـــد من هم على خطرات الـــقـــلب مطرد
أرجـوك في سكرات الموت تشهدني كيما يهون إذ الأنـــفـــاس في صعـــد

وقال بعضهم :

ياسيدي يا صفي الـدين ياسنـدي يا عمـدتي بل وياذخـرى ومفتخـرى
أنـت المـلاذ لما أخشى ضرورتـــه وأنت لي ملجـأ من حادث الـدهـر

فانظر إلى هذا الغلو الشنيع من هذين الشاعرين، اللذين نسيا أن المرتجي والملاذ للعبد هو الله، كما في الآيات المارة، والقرآن مملوء

بشبه واهية، ليس عليها شبهة الصواب، فضلا عن الحجة والدليل.

١ ـ مثل احتجاجهم على التوسل بحديث آدم السابق ذكره.

٢ ـ وبحديث : (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا).

٣ ـ وبحديث فاطمة بنت أسد، الذي رواه ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك، قال : (لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم عليّ بن أبي طالب ـ وكانت قد ربّت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس عند رأسها وقال : (رحمك الله يا أمي بعد أمي) إلى أن قال لما أدخلها في اللحد : (اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين).

٤ ـ ومثل احتجاجهم على جواز الاستغاثة، بقوله تعالى :

﴿ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ (٩١)

= بالآيات التي تصرح أن الله هو الذي بيده النفع والضر، وأنه إليه المرجع والمصير.

(٩١) سورة القصص : الآية ١٥.

٥ ـ وبقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٩٢)

٦ ـ وبمثل قولهم : لا فرق بين الأَحياء والأَموات، فإذا جاز التوسّل بالنبي حيًّا، جاز به ميتاً لأَنه حي في قبره، وهكذا سائر الأنبياء، لأَن الأَنبياء أعلى مقاماً من الشهداء، والشهداءُ قد قال الله فيهم :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

٧ ـ وبما يروونه من حديث : (إذ أعيتكم الأُمور فعليكم بأهل القبور).

٨ ـ وحديث : توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)، إلى غير ذلك من الاحتجاجات الواهية السمجة الباردة، التي تستوجب الضحك عليهم والرثاء لحالهم.

---

(٩٢) سورة النساء : الآية ٦٤.

الرد(٩٣) على حجج المبتدعين وتفنيدها

وإلى القارىء الجواب عن تلك الشبه، فنقول :

أولا : ليعلم القارىء أن التوسل بدعة ليس بكفر، وإنما الكفر هو الاستغاثة برسول الله أو بغيره، كما مرّ غير مرة.

---

(٩٣) وبقيت لهم شبهة وهي : أنهم قالوا للموحدين : إنكم تعمدون إلى الآيات التي نزلت في الأصنام وعابديها. فتنزلونها على المسلمين الذين يتوسلون بالصالحين، ويستغيثون بالمرسلين. ويأتون بكل شرائع الدين، فتجعلون المرسلين والصالحين في سلك الأصنام والأوثان، والمتوسلين في سلك عبدتها.

فالجواب : أولا : صرح العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ثانياً : أن المشركين السالفين، والكافرين الغابرين، منهم من كان يعبد الأنبياء كعيسى وعزيز، ومنهم من كان يعبد الصالحين، كود وسواع ويغوث ويعوق ونسر. فكفرهم الله جميعاً. وأخبر عن كفرهم، وكلمة (دون الله في مثل قوله : «ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك» وكلمة : «ما لكم من إله غيره». تشمل كل معبود غير الله، ولو كان نبياً أو ملكاً، وقد رأيتم أن الله كفر اليهود والنصارى بطاعتهم للأحبار والرهبان في تحريم الحلال، وتحليل الحرام، فضلا عن السجود لغير الله والنذر له، والطواف به.

وثانياً : ليس فى التوسل بالأموات حديث صحيح إو حسن وكل ما يوردونه إما ضعيف أو موضوع .

١ ـ فأما حديث الاحتجاج بتوسل آدم ، فقد سبق الجواب عنه .

٢ ـ وأما حديث : (اللهم إني أسألك بحق السائلين) فإنه ضعيف . قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : هذا إسناد مسلسل بالضعفاءِ ، عطية وهو العوفي والفضيل ابن مرزوق ، والفضل بن الموفق ، كلهم ضعفاءُ .

وعلى تسليم أنهم اختلفوا في الفضيل بن مرزوق فضعفه ابن حبان والنسائي وأبو حاتم ، ووثقه ابن معين .

قال ابن حبان فيه : يروي عن طية العوفي الموضوعات وهو في هذا الحديث عن عطية العوفي .

فإن الجرح مقدم على التعديل . على أننا لو سلمنا بصحة الحديث ، فإنا لا نسلم أن حق السائلين مخلوق ، إذ حقهم هو إجابة الله ، وإعطاؤهم سؤالهم ، وهما صفتان له تعالى . فحق الخلق قد يكون صفة من صفات الله ، قال تعالى :

« وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ »[94]

٣ ـ والجواب عن حديث فاطمة بنت أسد أنه ضعيف أيضاً، فإن فيه روح بن صالح المصري وهو ضعيف. وعلى فرض تسليم صحته، فحق الأنبياءِ غير مخلوق كما قدمنا في حديث: (اللهم إني أسألك بحق السائلين).

بل إنه صفة من صفات الله تعالى، وهو نصرته للأنبياء، وإرضاؤهم وإعلاؤهم على أعدائهم.

٤ ـ وأما احتجاجهم على الاستغاثة بقوله تعالى في قصة موسى: « فَاسْتَغَاثَهُ الذي مِنْ شِيعَتِهِ ».

فما أسمجه من استدلال وما أبرده!! لأنها استغاثة حي بحي فيما يقدر عليه، وليس في هذا خلاف. على أن فعل الرجل الإسرائيلي ليس بحجة، وإجابة موسى له وتقريره عليه ليس بحجة، لأن ذلك قبل أن يوحى إليه.

وسكوت الأنبياءِ قبل بعثهم لا يدل على جواز المسكوت عنه. وبعد ذلك كله ليس هو في شريعتنا.

---

(٩٤) سورة الروم: الآية ٤٧.

٥ ـ وأما احتجاجهم بقوله تعالى :

« وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ » . . . الآية .

فالجـواب : أن غايتهـا تعليق غفران ذنوبهـم على مجيئهم إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستغفارهم الله ، واستغفـار الـرسول لهم. وأنهم لِيموا على ترك ذلك، وليس فيها أنهم طلبوه ولا أُمروا أن يطلبوه.

وثـانياً : أن الآية معلقة ذلك على إتيانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإتيانه غير متأت بعد موته ، إذ لا يمكن إلا إتيان قبره . ومن أتى القبر لا يقال أنه إتى صاحب القبر، إلا على سبيل التسامح والتجوّز.

ثالثاً : هي واقعة معينة لا تفيد العموم بمعناها ولا لفظها وقعت في حياتــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن أين أخـذوا التعميم في الحياة والممات ؟ .

ولو دلت على العموم في الحياة والممات لكانت مخصصة ومقصـورة على الحياة، ودليل التخصيص الأخبـار الشـرعية الدّالة : أن الأموات لا يسمعون ولا يجيبون . قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾(٩٥)

وفي الحديث الذي رواه مسلم : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو عِلْمٌ ينتفع به).

ولأن الصحابة ومن بعدهم ما فهموا شمولها للموت، ولذا لم يدعوه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يأْت إلينا أنهم دعوه بعد الموت، كما قد أتى إلينا أنهم سألوه الدعاء في حياته ـ صلى الله عليه وسلم.

حديث القليب

تعلق القبوريون المبتدعون بحديث القليب، أن الموتى يسمعون، لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إجاب عمر : (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) وبحديث : (وأنه ليسمع الآن قرع نعالهم إذ أتاه الملكان) فاحتجوا على سماع الأموات بهذين الحديثين، وإذا كانوا يسمعون فيجيبون

(٩٥) سورة فاطر : الآية ٢٢.

الـداعين لهـم والمستغيثين بهـم فيقضـون حوائجهم، وينـال المستغيث بغيتـه والطالب منهم ضالته وقصده، كما استدلوا بذينك الحديثين على ندب قراءة الأَحياء على قبور الموتى.

والجـواب : أَن حديث القليب وقـع معجزة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخـوارق العـادات لا يقـاس عليها، فكيف والله يقول :

« وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ »

وأَمـا الحديث الثاني، فالجواب : أَنه مقيد بتلك الساعة التي سيأْتيه الملكان، وليس سماعه في كل وقت، وإذا أَردت هذا البحث لتروي غليلك وتشفي عليلك فارجع إلى (رسالة الآيات البيّنات في عدم سماع الأَموات للعلامة الأَلوسي رحمه الله)

٦ ـ وأَمـا قولهم : لا فرق بين الأَحياء والأمـوات في جواز التوسل والاستغاثة، وما ثبت لأَحد المثلين ثبت للآخر، وقد ثبتت حياة الأَنبياءِ في قبورهم، لأَنهم أَعلى مقاماً

من الشهـداءِ، فجـازت الاستغـاثـة والتـوسـل بهم وبالشهداءِ، والأولياء.

فالجواب: أن هذه المقالة مصادمة للقرآن صريحاً، لأن القرآن يقول:

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾(96)

ويقول:

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾(97)

فسبحـان الله الـذي إعمى بصائر هؤلاء القبوريين الدجاجلة المضلين حتى سوّوا بين الأحياء والميتين!.

بل قالـوا: إن الأرواح بعد مفارقة الأجسام، باقية وتتصرف التصرف التام!.

---

(96) سورة فاطر: الآية ٢٢.

(97) سورة الروم: الآية ٥٢.

فعلى عقولهم العفاءُ والدمار، فما أَجهل هؤلاء وما أكفرهم. فلو كانوا أَحياءً كما زعم هؤلاء لما جاز دفنهم، وتقسيم أَموالهم. وتتزوج نساؤهم. بالنسبة لغير الرسول صلى الله عليه وسلم.

وإنا نرى الميت يهان ويوطأ، وهو لا يتحرك ولا يدفع عن نفسه، أَتراه رضي لها الهوان؟! ولا أَظن أَن سمع الناس أَبطل من هذا الكلام، وأَفسد من هذا القياس.

٧ - وقولهم: إن الأَرواح تتصرف بعد مفارقة الأَجسام لأَنها حيّة، فكلام باطل.

وأَي تصرف لها؟ وهل يلزم من حياتها أَن تكون قادرة مجيبة للمستغيثين والسائلين؟.

ولو جاز لنا أَن نستغيث بهؤلاء لأَنهم أَحياء، جاز لنا أَن نستغيث بالملائكة الذين لا خلاف في حياتهم، وبالحور والولدان، وبأَرواح الكفار، وبالجان لأَنهم أَحياءٌ. سبحانك هذا بهتان عظيم! لا يقول هذا إلا من سفه نفسه، وتجرد من عقله. اللهم اهدهم إلى صراط الحق، والطريق المستقيم.

٨ ـ وأَما حديث : (إذا أَعيتكم الأُمور . . .) فإنه مكذوب ومن وضع الزنادقة الذين قصدوا إفساد الدين.

٩ ـ وحديث : (توسلوا بجاهي) موضوع، لم يختلف في وضعه اثنان.

ولا ريب عند المسلمين جميعهم، أَن لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاهاً عظيماً ومقاماً محموداً، وأَنه أَفضل الورى وخاتم الأَنبياءِ والمرسلين.

ولكن هذا لا يسوغ لنا التوسل والاستغاثة به، وإن كان الأَنبياء أحياءاً في قبورهم حياة برزخية لا يعلمها إلا الله، لأَن الحياة البرزخية لا تقاس بالحياة الدنيا(٩٨) ولا تعطى أحكامها، فإذا جاز أَن نسأَله ـ صلى الله عليه

(٩٨) وحيث أن كثيراً من ذوى البدع والضلال والدعاة إلى عبادة الأموات من الأنبياء والصالحين. يشاغبون في حياة الأنبياء والشهداء. ويزعمون أن حياتهم كالحياة الدنيوية يأكلون ويشربون وينكحون كسائر أهل الدنيا. وبناءاً على ذلك جوزوا الاستغاثة بهم في الشدائد والملمات. بل وندبوا إلى ذلك وضللوا من ينهى عن الاستغاثة بالأموات ويجعلها شركاً برب العالمين.

ونحن نقول : أنها حياة برزخية غيبية لا يعلم كنهها إلا الله.

فلذا يجدر بي أن أذكر بعض كلام المفسرين الأجلاء في هذا ═

الموضوع، ونكتفي بأربعة من كبارهم ليتبين صحة قولنا وبطلان قولهم. وإلى القارىء بيان ذلك:

قال العلامة ابن جرير، في تفسيره تحت قوله تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون».

يعني الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله، يقول الله: ولا تحسبنهم يا محمد أمواتاً لا يحسون شيئاً، ولا يتلذذون ولا يتنعمون. فإنهم أحياء عندي متنعمون في رزقي. فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي وحبوتهم من جزيل ثوابي وعطائي . . .، ثم ساق أحاديث وآثاراً نحواً من عشرين حديثاً وأثراً. منها:

عن مسروق (١) بن الأجدع، قال: سألنا عبدالله بن مسعود عن هذه الآيات: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله» الآية. قال: إما أنا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أصاب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فيطلع الله إليهم إطلاعة، فيقول: ياعبادي ما تشتهون فأزيدكم فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ثلاث مرات، فيطلع فيقول: ياعبادي ما تشتهون فأزيدكم. فيقولون:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا. ثم تردنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أُخرى» تفسير ابن جرير ـ طبعة دار المعارف.

وقال الحافظ بن كثير، في تفسير الآية :

يخبر الله تعالى عن الشهداء، بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار، فأرواحهم حية مرزوقة في دار القرار.

ثم أورد ابن كثير، كثيراً مما أورده ابن جرير، ومنها ما أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس، قال : قال رسول الله : لما أُصيب إخوانكم يوم أُحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش . . » الحديث جـ ٢ ابن كثير ـ طبعة الأندلس ببيروت.

وقال العلامة ابن الجوزي، في تفسير قوله : «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات، بل أحياء ولكن لا تشعرون».

ذكر سبب النزول أنها في شهداء أُحد، ثم قال : أي لا تقولوا هم أموات، لا تصل أرواحهم إلى الجنان، ولا تنال من تحف الله ما لا يناله الأحياء، بل هم أحياء أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، فهم أحياء من هذه الناحية وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح. ولما استشعر اعتراضاً بأن جميع المؤمنين منعمون بعد موتهم فلم خصصتم الشهداء! أجاب : إن الشهداء فضّلوا على غيرهم بأنهم مرزوقون من مطاعم الجنة ومآكلها، وغيرهم منعم بما دون ذلك. ا هـ.

(من زاد المسير - جـ ١ سورة البقرة ص ١٦٠ - طبعة المكتب الإسلامي) وقال العلامة القاسمي في تفسيره، نقلا عن البيضاوي وحواشيه :

إن إثبات الحياة للشهداء في زمان بطلان الجسد وفساد البنية، ونفي الشعور بها. دليل على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان، لأنها بصحبة البنية واعتدال المزاج، وإنما هي أمر يدرك بالوحي لا بالعقل). ا - هـ. (من «محاسن التأويل» جـ ٢ - طبعة دار إحياء الكتب العربية).

تأمل كلام ابن جرير قوله : إنهم أحياء عندي متنعمون في رزقي.

وكلام ابن الجوزي : فهم أحياء من هذه الناحية - أي من ناحية أرواحهم في حواصل طير خضر - وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح.

وكلام ابن كثير إذ يقول : إنهم وإن قتلوا في هذه الدار. فأرواحهم حية مرزوقة في دار القرار.

وكلام البيضاوي : إن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان.

فإذا أحطت علماً بذلك تبين لك أن ما ذهب إليه أهل التخريف - إن حياتهم من جنس حياتنا يأكلون ويشربون وينكحون - اعتقاد فاسد يأباه كل ذي عقل سليم، فضلا عمن تحلى بالعلم والعقيدة الصحيحة.

وقوله تعالى في سورة البقرة : «ولكن لا تشعرون».

وفي سورة آل عمـران : «أحياء عنـد ربهم يرزقون» كاف في بطلان ما ذهب إليه المبتدعة في إثبات الحياة لهم كالحياة الدنيوية، على أنه قد فسر بعضهم تلك الحياة بحياة الذكر الجميل والثناء الجليل.

وقيل : إن المراد بالموت والحياة، الضلال والهدى، أي لا تقولوا هم أموات في الدنيا، ضالون عن الصراط المستقيم، بل هم أحياء بالطاعة، قائمون بأعبائها، وقيل غير ذلك (١).

ولكن خير تفسير لحياتهم ما فسره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما سبق في الحديثين السابقين . وكما سبق في كلام المفسرين.

والخـلاصـة : أن حياة الشهداء والأنبياء من باب أولى حياة غيبية برزخية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه. ولكل دار حكم، فلما خرجوا من الدنيا لا يجوز لنا أن نطبق عليهم الأحكام الدنيوية. فإذا جاز لنا أن نسأل الرسول في حياته الدعاء، أو يسأل لنا الغفران، فلا يجوز لنا بعد موته أن نسأله ماكنا نسأله في الحياة الدنيوية.

---

(١) ولو ذهبنا ننقل كلام المفسرين في هذا الموضوع لصار يتطلب مجلداً ضخماً ونحن قصدنا الإيجاز، وفيما نقلناه كفاية، ويتبين به أن ما ذهب إليه أهل الضلال هو من أكبر البدع والضلال.

وسلم - في حياته الدعاء، بأن يطلب لنا من الله قضاءَ حاجة أو غفران ذنب، فلا يجوز بعد مماته أن نسأله قياساً على حياته الدنيوية.

وأين هؤلاء من الآيات القرآنية التي تنادي بأن ليس لغير الله أمر أو تصرف، أو قدرة في دفع ضر، أو جلب نفع، سواءً أكان نبياً أم غيره، كقوله تعالى:

« قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ

قال الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبادي اليمني، في منظومته « هداية المريد »:

والشهداء وأنبياء الله فإنهم أحياء عند الله
وما لهم حكم الحياة عندنا لكونهم قد فارقوا دار الفنا
ومن يقل حياتهم لا تنقطع فذاك كذاب مريد مبتدع
قد كذب القرآن والرسولا وخالف المعقول والمنقولا

ويشير إلى الآية: «إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون».

وقوله: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل. أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم».

مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ »(٩٩)

وقوله :

« قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا »(١٠٠)

وقوله :

« قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »(١٠١)

إلى غير ذلك من الآيات التي فيها الخطاب للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مبيناً أن الذي بيده النفع والضر هو الله وحده لا غير، وأن المعبودات من دون الله لا تغني شيئاً، وأن

(٩٩) سورة الزمر : الآية ٣٨.

(١٠٠) سورة الجن : الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

(١٠١) سورة الأعراف : الآية ١٨٨ .

الـرســول ـ صلى الله عليه وسـلم ـ مع أنـه سيد الأولـين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فضلا عن غيره.

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لما نزلت آية :

« وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ »

(يابني كعب بن لؤي. أنقدوا أنفسكم من النار
يابني عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار.
يابني عبد مناف ، أنقذو أنفسكم من النار.
يابني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار
يافاطمة بنت محمد ، أنقدي نفسك من النار
فإني لا أملك لكم من الله شيئاً).

وفي رواية : (يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله فإني لا أغني عنكم من الله شيئـاً، يا بني عبدالمطلب. لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أُغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمّة رسول الله لا أُغني عنك من الله شيئاً، يافـاطمة بنت رسول الله سليني من مالي ما شئت. لا أُغني عنك من الله شيئاً.

وقوله تعالى :

« إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ »[١٠٢]

أي نخصك بالعبادة ولا نعبد سواك ونستعين بك في أُمور الدنيا والدين، ولا نستعين بأَحد غيرك.

وحديث : (إذا سأَلت فاسأَل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)[١٠٣].

لو تدبّر هؤلاء المبتدعون تلك الآيات والأحاديث، وراجعوا تفاسير الأئمة المحققين على تلك الآيات، وشروح تلك الأَحاديث. شروح الأَجلاءِ المعتبرين.

لعلموا أَن توسلاتهم بالرسول، أو بالأنبياءِ والصالحين ليس لِها أصل في الدين.

وأَن الاستعانة بهم من الشرك والكفر المبين.

---

(١٠٢) سورة الفاتحة : الآية ٥.

(١٠٣) رواه الترمذي من حديث ابن عباس، الذي أوله : (قال : كنت خلف النبي يوماً، فقال : يا غلام إني أُعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك. . . إلخ). وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

ولى الله وولى الشيطان

كثيرا ما يدعى أهل البدع والضلال، وكثير من أرباب الطرق الصوفية بالولاية، وأن لهم كرامات ومكاشفات، يروجون هذه الدعاية على السذج والبسطاء فيتأثرون بها، فتراهم يقفون أمام هذا المدعى ان كان حيا، وأمام قبر المنسوب إلى الولاية خاشعين ومتضرعين، ومنهم من ينحنى بالركوع اليه، ومنهم من يقبل الأرض بين يديه، ومنهم من يطوف بالقبر، وتكثر منهم الاستغاثات وصرف النذور والهدايا الى ذلك المدعى أو إلى القبر الذى يعتقدون فيه أنه من أولياء الله، ولا يفرقون بين ولي الرحمن وولى الشيطان، وبما أن هذه الرسالة تعرضت لتوحيد الألوهية أكثر من غيره، وبرهنت أن صرف العبادة كالنذور والطواف والحلف والدعاء والاستغاثة لغير الله يكون شركا أكبر، باستثناء الحلف ان لم يقصد تعظيم المخلوق كتعظيم الخالق، فيكون شركا أصغر، فلذا استحسنت أن أبين نبذة مختصرة فى تعريف من هو الولى؟ ومن يكون ولى الرحمن ومن يكون ولى الشيطان؟

فأقول وبالله التوفيق :

الولى ضد العدو، والولاء بكسر الواو وفتحها : القرب

والـدنـو، والمطر بعد المطر، الولى : الاسم منه، والمحب والصديق والنصير. وأصل الولاية المحبة والتقرب، وأصل العداوة : البغض والبعد والمراد بولى الله : العالم بالله تعالى، المواظب على طاعته، المخلص فى عبادته ـ كما فى فتح البارى.

وأحسن تعريف وبيان للولى ما جاء به القرآن : قال الله تعالى : « أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ »(١٠٤)

وقال تعالى :

« إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ [يقيمون] ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ »(١٠٥)

---

(١٠٤) سورة يونس الآيات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤.

(١٠٥) سورة المائدة الآيات ٥٥ ، ٥٦.

فنرى أن الله تعالى عرف الأولياء بقوله :

« ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ »

فكلمة الذين آمنوا يشمل الايمان بالله ورسوله والملائكة والكتب واليوم الآخر والقضاء والقدر، فالايمان بالله لا يحصل إلا بتوحيد ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فالذى يؤمن بربوبيته ويشرك فى ألوهيته كحال الكثيرين والمدعين للولاية من صرفهم (كثيرا من العبادات لغير الله، لا يكون وليا، فالذى لا يصلى أو يترك صلاة الجمعة والجماعة ويدعى أنه يصلى فى الحرم المكى أو فى حرم الرسول لا يكون وليا، بل يكون كذابا ودجالا، والذى يرضى بأن ينحنى له بالركوع أو بتقبيل الأرض بين يديه أو بالاستغاثة به أو بالنذر له، أو يقول للتلميذ اذا أصابتك شدة فاستغث بى وادعنى فأنا أطلب من الله أن يفرج عنك تلك الشدة أو يعطيك ما تريده فان جاهى عند الله عظيم، حتى ان بعضهم يدعى علم الغيب.

حكى لى بعض أهل العلم : أن سيدا من سادات حضرموت كان معظما، وكانت العامة تعتقد فيه الولاية، حتى بلغ من أمره أن جاءه رجل فقال ياسيدى الشيخ : ان ابنى قد سافر منذ سنين ولا أدرى أهو حى أم ميت، لأن أخباره قد انقطعت، فسكت الشيخ مليا وخفض رأسه، وبعد دقائق رفع

رأسه فقال : دخلت الجنة فلم أجد ابنك، ودخلت النار فلم أجده، فابنك حي يرزق.

وبعضهم يدعى أنه رفع سبع السموات الشداد، وبسط الأراضين، وبعضهم يقول : انه يأخذ علمه من اللوح المحفوظ، وبعضهم يدعى أنه لا يفارق الرسول لا فى اليقظة ولا فى المنام، وأنه يسأل الرسول فيما يشكل عليه، ولا يعتبر علماء الفقه والحديث، ويقول : هؤلاء أهل الظاهر ونحن أهل الباطن، وهم عندهم القشور ونحن عندنا اللباب، وأمثال هذه الدعاوى العريضة الطويلة كثيرة، فضلا عن اعتقاد بعضهم بالحلول ووحدة الوجود، ويعنى أن الخالق والمخلوق واحد، كقول بعضهم :

الرب عبد والعبد رب ... وليت شعرى من المكلف

فقل لى بربك : أمثل هؤلاء يكونون أولياء لله كلا وألف كلا، بل هؤلاء أولياء الشيطان، لأنهم لم يؤمنوا ايمانا كاملا، فقد شرط الله لثبوت الولاية شرطين :

١ ـ الايمان، وأركان الايمان هى الايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر.

٢ ـ التقوى : ورأس التقوى اتقاء العبد الشرك بالله العظيم، الأكبر والأصغر، ومن التقوى الائتمار بالمأمورات

الشـــرعية والانتهـــاء عن المنهيات، فإذا كملت هذه الأوصاف فى العبد، فهو الولى لله ولا بأس أن تصدر منه بعض السيئـآت ويتـوب عنهـا، فان هذا لا يقدح فى ولايتـه، ولأن الـولى ليس بمعصـوم والعصمة للأنبياء والـرســل فقط، فاذا أردت أن تعـرف حقيقـة هؤلاء المـدعين للولاية وأولئك الجهلة المتأثرين بهم، فاقرأ سيرة الأنبياء، ولا ريب أن أفضل أولياء الله هم الأنبياء وأفضل الأنبياء هم المرسلون، وأفضل الرسل هم أولوا العزم، وأفضل الناس بعد الأنبياء والرسل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وأفضلهم الخلفاء الأربعة ثم أهـل بدر ثم أهـل الشجرة ثم التابعون، ثم تابعو التابعين كما جاء فى الحديث : خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

فقل لى بالله : هل نقل عن أحد من الأنبياء أنه يعلم الغيب باستثناء الغيب الذى يوحى به الله اليه، قال الله تعالى اخبارا عن نوح (و لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا، الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين)

هذا يعقوب عليه السلام ابتلى بفقد ابنه يوسف ولم يعلم

ما جرى على يوسف حتى جاءه البشير، فألقى قميص يوسف على وجهه فارتد بصيرا.

وهذا سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد كان يسأل فى بعض الأحيان عن بعض الأشياء فلا يجيب حتى ينزل عليه الوحى، حتى فى المسائل التاريخية كقصة الخضر وموسى وذى القرنين.

والدليل الثانى : ان عائشة رضى الله عنها أحب أزواجه اليه حدث حادثة الافك عليها، فبقى الرسول لا يبت فى شىء حتى نزلت آيات من سورة النور فى براءتها وختمت بقوله تعالى (أولئك مبرؤون مما يقولون).

والقرآن العظيم يصرح بنفى الغيب عن الرسول بقوله (ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)، وقال تعالى فى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم (قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا)، وقال أيضا (قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا).

فإذا كان الله تعالى ينفى عن الرسل الغيب، كما ينفى عنهم أن يملكوا ضرا ولا نفعا، وهؤلاء المدعون يدعون أنهم

يستجيبون لمن يدعوهم فى الشدائد، ويرضون بالسجود والانحناء لهم، فهذه ليست من صفات أولياء الرحمن، بل من صفات أولياء الشيطان وحزب الخسران.

فإذا قرأنا فى سيرة الصحابة رضوان الله عليهم سواء كانوا فى المدينة المنورة أو فى خارجها فالصحابة كما قلنا هم أفضل الناس بعد الأنبياء والرسل، وأثنى الله عليهم فى آيات عديدة وصرح بالرضا عنهم، كقوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه).

فهل نقل عن أحد منهم أنه يعلم الغيب أو يكشف البلاء أو يأتى بالشفاء للمريض، أو استغاث أحد بهم فى الشدائد والملمات والكربات؟ وهل نقل عن أحد من أصحاب رسول الله الذين كانوا فى الشام أو العراق ومصر أنهم تركوا صلاة الجمعة أو الجماعة وادعوا أنهم يصلون فى الحرم المكى أو النبوى؟ وهل ادعى أحد منهم أنه يأخذ علمه من اللوح المحفوظ أو من الرسول، وأن الرسول لا يفارقه لا فى اليقظة ولا فى المنام؟ وهل ادعى أحد منهم أنه يأتى بكرامات وخوارق باستثناء بعض الأحوال القليلة من بعض الصحابة؟ فقد يكرم الله الولى الذى توفرت فيه شروط الولاية بأن يكرمه باجابة دعائه

أو بتوفيقه فى ادراك شىء مجهول عن طريق احساسه أو فراسته كما فى الحديث : اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله . ، وحديث قد كان فى الأمم قبلكم محدثون . فان يكن فى أمتى أحد فعمر.

الكـــرامـــــة

فالكرامة قد يكرم الله بها بعض العباد الصالحين ، فقد نقل أن خالـد بن الوليد حاصر حصنا فقالوا : لا نسلم حتى تشرب السم فشربه ولم يضره بإذن الله .

وكان سعد بن أبى وقاص مجاب الدعوة، ما دعا قط الا واستجيب له ، فخرج عباد بن بشر وأسيد بن حضير من عند رسـول الله فى ظلمة الليل، فأضاء لهما أطراف السوط فلما افترقا افترق الضوء معهما.

والخــلاصـــة : ان ولاية العبد لله مطلوبة من كل أحد ولا تنحصـر فى رجـل معين مخصوص أو قوم مخصوصين وانما الميزان الـوحيد للولاية هو اتباع كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم كما فى الآية السالفة .

والذى لا يؤمن بالله ايمانا كاملا ، ويمارس بدعا وضلالات ،

أو يعتقد اعتقادات مخالفة لما عليه السلف الصالح ، فلا يكون وليا لله ، فاذا صدر خرق عادة من رجل أو امرأة ، فنزن أعمالهما بميزان الكتاب والسنة ، فان وافق عملهما الوحيين المطهرين فهما من أولياء الله ، والخارق يكون كرامة والا فلا ، وذلك أن خرق العادة من رجل لا يؤمن بالله أو يشرك بالله أو لا يواظب على الطاعات أو لا ينتهى عن منهيات أو بعضها ، فهذا لا يكون وليا لله ، وحصول خرق العادة لا يكون دليلا على كرامته ، لأن خرق العادة قد تصدر من المرتاضين كبعض وثنى الهند ، فانهم قد يأتون بأفانين من خوارق العادات ، وقد يكون خرق العادة من السحرة والمشعوذين ، وقد يكون الرجل أو المرأة من أولياء الشيطان ، فيأتيه الشيطان بالخبر الذى لا يعرفه الناس . وقد يخبره عن أمور تكون عند الناس من قبل علم الغيب[١٠٦] . فيعتقد العوام أنها من الكرامات ، ويعظمون ذلك الشخص ويعتقدون فيه الولاية والصلاح ، ولهذا قلنا : الميزان الوحيد والفارق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان هما الكتاب والسنة ، كما قال الجنيد رحمه الله : الطرق كلها مسدودة الا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١٠٦) كأن يطير به الشيطان في الهواء أو يمشى به على الماء إلخ .

توحيد الأسماء والصفات :

وهو أن يعتقد العبد اعتقاداً جازماً أن ما أخبر الله به في كتابه، من أوصافه العليا وأسمائه الحسنى، وكذا ما جاءت به الأحاديث الصحيحة من أسمائه وصفاته، هي كما تليق بجلال الله وعظمته وكبريائه، فمن تلك الصفات :

صفة الحياة له ـ جل جلاله ـ كما قال :

« ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ »(107)

وصفة العلم، كما قال الله تعالى :

« وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ »(108)

وقوله تعالى :

« أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ »(109)

وصفة الإرادة، لقوله تعالى :

---

(١٠٧) سورة آل عمران : الآية ٢.

(١٠٨) سورة البقرة : الآية ٢٥٥.

(١٠٩) سورة الملك : الآية ١٤.

« إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ »(١١٠)

والقدرة، لقوله تعالى :

« وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا »(١١١)

والسمع والبصر، لقوله تعالى :

« وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا »(١١٢)

والكلام، لقوله تعالى :

« وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا »(١١٣)

وقوله :

« وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ »(١١٤)

---

(١١٠) سورة يس : الآية ٨٢.
(١١١) سورة الفتح : الآية ٢١.
(١١٢) سورة النساء : الآية ١٣٤.
(١١٣) سورة النساء : الآية ١٦٤.
(١١٤) سورة الأعراف : الآية ١٤٣.

والرحمة، لقوله تعالى :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ »[115]

وصفة الحب ، لقوله :

« يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ »[116]

واليدين، لقوله تعالى :

« لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ »[117]

والوجه، لقوله :

« وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ »[118]

والاستواءُ على العرش، لقوله تعالى :

« الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ »[119]

---

(١١٥) سورة النمل : الآية ٣٠. (١١٦) سورة المائدة : الآية ٥٤.
(١١٧) سورة ص : الآية ٧٥. (١١٨) سورة الرحمن : الآية ٢٧.
(١١٩) سورة الأعراف، ويونس، والرعد، والفرقان، وطه، والسجدة والحديد.

في سبع آيات من القرآن

والنـزول، للحـديث الصحيح : (ينـزل ربنا كل ليلة إلى السـماءِ الدنيا، فينادي : هل من مستغفر فأَغفر له، هل من سائل فأَعطيه، هل من تائب فأَتوب عليه).

إلى غير ذلـك من الصفـات التي لا نستـطيع حصرهـا في عشرين صفة، وحصرها في عشرين من مبتدعات الخلف. بل ولا حصرها في أكثر من عشرين، وإنما الواجب الإِيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من صفات الله وأَسمائه. إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل.

والقول الشامل في هذا الباب، أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأَولون، لا يتجاوز القرآن والحديث.

فمذهب السلف حق بين باطلين. بين باطل التمثيل وباطل التعطيل.

فالمشبه يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدماً، والموحد يعبد إله الأَرض والسماءِ(١٢٠)

---

(١٢٠) ورحم الله ابن القيم، حيث قال :

من شبـه الله الـعـظيم بخـلقـه   فهـو الـنـسـيب لمشرك نصراني

أو عطل الـرحمـن عن أوصـافـه   فهـو الـكـفـور ولـيس ذا إيمان

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[121]

فصدر الآية تنزيه الله عن مماثلة المخلوقات، وردّ على المشبه.

وآخر الآية إثبات صفتي السمع والبصر، في قوله :

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

ورد على المعطلة.

فالسلف الصالح لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه.

فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن ذاته المقدسة لا تشبه ذوات المخلوقين، فصفاته لا تشبه صفات المخلوقين.

فإذا قلنا : لله علم وللمخلوق علم، كما قال في كتابه المجيد :

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[122]

---

(١٢١) سورة الشورى : الآية ١١.

(١٢٢) سورة الأنعام : الآية ١٠١.

وقال : « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ »[١٢٣]

وقال في حق المخلوق : « وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ »[١٢٤]

وقال عن نبيه يوسف :

« قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ »[١٢٥]

فلا شك أَن ليس علم الله كعلم يوسف أو إسحاق عليهما السلام.

ووصف نفسه بالرأْفة والرحمة، فقال :

« إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ »[١٢٦]

وقال : « وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا »[١٢٧]

---

(١٢٣) سورة الملك : الآية ١٤.
(١٢٤) سورة الذاريات : الآية ٢٨.
(١٢٥) سورة يوسف : الآية ٥٥.
(١٢٦) سورة التوبة : الآية ١١٧.
(١٢٧) سورة الأحزاب : الآية ٤٣.

وقال فى حق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ »(١٢٨)

فليست رحمة الله كرحمة المخلوق، ولا رأفته كرأفة المخلوق.

ووصف نفسه بالسمع والبصر، في غير ما آية من كتابه

فقال : « إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ »(١٢٩)

وقال : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »(١٣٠)

وقال في حق المخلوق : « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا »(١٣١)

---

(١٢٨) سورة التوبة : الآية ١٢٨ .

(١٢٩) سورة لقمان : الآية ٢٨ .

(١٣٠) سورة الشورى : الآية ١١ .

(١٣١) سورة الإنسان : الآية ٢ .

ونحن لا نشك أن ما في القرآن حق.

فلله سمع وبصر حقيقتان لائقتان لجلاله وكماله.

كما أن للمخلوق سمعاً وبصراً حقيقتين مناسبتين لحاله، من فقره وفنائه.

وبين سمع وبصر الخالق، وسمع وبصر المخلوق، كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق.

ووصف نفسه بالحياة، فقال:

« ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ »(١٣٢)

وقال: « هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ »(١٣٣)

ووصف بعض المخلوقين بالحياة فقال:

« وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ »(١٣٤)

---

(١٣٢) سورة آل عمران: الآية ٢.

(١٣٣) سورة غافر: الآية ٦٥.

(١٣٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

وقال :

« وَسَلَـٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا »[١٣٥]

فليست حياة الخالق كحياة المخلوق.

وقال : « ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ »[١٣٦]

وقال في حق المخلوق :

« وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ »[١٣٧]

فليس استواؤه كاستواء السفينة على الجودى.

والحاصل، أننا لا نتعدى القرآن والحديث، ولا نؤول صفات الله الواردة في الوحيين بتأويلات الجهمية والمعتزلة القائلين : إن اليد بمعنى النعمة، والاستواء بمعنى الاستيلاء»[١٣٨]. والوجه بمعنى الذات. والرحمة بمعنى التفضل ونزوله بمعنى نزول أمره أو رحمته، أو ملائكته.

---

(١٣٥) سورة مريم : الآية ١٥.

(١٣٦) سورة طه : الآية ٥.

(١٣٧) سورة هود : الآية ٤٤.

(١٣٨) احتجوا على ذلك بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

ومـا أشبه ذلك من التأْويلات الفاسدة، النابعة من منابع الفلاسفة الضالين.

تلك التـأْويلات التي تؤول بالإنسـان إلى الكفـر، وتجعل الشريعة ألعوبة بأَيدى المبطلين والهدامين. بحيث إنه لا يريد مبطل أن يهدم عقيدة أو حكماً شرعياً، إلا وقد أتى من باب التأْويل. وكفى بهذا قبحاً وضلالا.

وعلى اعتقاد ما وصف الله به نفسه، أَو وصفه رسوله بما أَتى في القرآن والأَحاديث الصحيحة من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، مضى عصر الرسول والصحابة والتابعين وتابعيهم من الأئمـة المعتـبرين، كالإمـام أَبي حنيفـة، والإمام الشافعي، والإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل. والبخارى، ومسلم، والـترمـذي، والنسـائي، وأبي داود، والثـوري، وابن عيينه، وغـيرهم من المحدثين والفقهاء المعتبرين، والصوفية المحقين،

= والجواب: أن هذا البيت أولا مصنوع لا يحتج به.

وثانيا: إن قالوا: استيلاء الله كاستيلاء بشر على العراق، فهذا هو التشبيه بعينه.

وإن قالـوا: استيلاء الله يخصه على ما يليق به. واستيلاء بشر كذلك. فهلا أبقوا اللفظ القرآني. وقالوا: استواءاً يليق بجلاله، ولا مفر لهم من أحد هذين الأمرين. =

كالجنيد والجيلاني وأبي نعيم واللغويين المحققين، كالخليل بن أحمد، وثعلب وغيرهما.

وبما أن الكلام في حقيقة الاستواء ورد شبهة المؤولة بأنه بمعنى استولى، وتشبثوا بذاك البيت السالف الذكر وأعنى قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق . . . . . . من غاير سيف ودم مهراق

فقد رأيت أن أضيف كلمة في بيان خطأ المؤولة في اجتجاجهم بهذا البيت.

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله:

ان هذا البيت محرف وانما هو هكذا: بشر قد استولى على العراق . . . هكذا لو كان معروفا من قائل معروف، فكيف وهو غير معروف فى شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع اليها.

ثانيا: انه لو صح هذا البيت وصح أنه غير محرَّف، لم يكن فيه حجة، بل هو حجة عليهم وهو على حقيقة الاستواء، فان بشرا هذا كان أخا عبدالملك بن مروان، وكان أميرا على العراق فاستوى على سريرها كما هو عادة الملوك ونوابها أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه، وهذا هو المطابق لمعنى هذه اللفظة فى اللغة كقوله تعالى «لتستووا على ظهوره» وقوله تعالى «واستوت على الجودى» وقوله تعالى «فاستوى على سوقه»

وثالثا: انه لو كان المراد بالبيت استيلاء القهر والملك، لكان

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، نسأل الله أن ينفعنا وينفع إخواننا المسلمين بهذه الرسالة، إنه سميع مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

المستوى على العراق عبدالملك بن مروان لا أخوه بشر، فان بشرا لم يكن ينازع أخاه الملك، ولم يكن ملكا مثله، وإنما كان نائبا له عليها ووالياً من جهته.

فالمستولى عليها هو عبدالملك لا بشر، بخلاف الاستواء الحقيقى وهو الاستقرار فيها والجلوس على سريرها، فان نواب الملوك تفعل هذا باذن الملوك.

رابعـا : انه لا يقال لمن استولى على بلدة ولم يدخلها ولم يستقر فيها، بل بينه وبينها بعد كثير : أنه قد استوى عليها، فلا يقال : استوى أبوبكر على الشام ولا استوى عمر على مصر والعراق، ولا قال أحد قط استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن، مع أنه استولى عليها واستولى خلفاؤه على هذه البلاد، ولم يزل الشعراء يمـدحـون الملوك والخلفـاء بالفتـوحـات، ويتـوسعـون في نظمهم واستعاراتهم فلم يسمع عن قديم منهم جاهلى ولا اسلامى ولا محدث انه مدح أحدا قط انه استوى على البلد الفلانى الذى فتحه واستولى عليه، فهذه دواوينهم وأشعارهم موجودة.

خامســا : ان الاستيلاء والاستـواء لفـظان متغـايران ومعنيان مختلفـان، فحمـل أحدهما على الآخر ان ادعى انه بطريق الوضع فكذب ظاهر، فان العرب لم تضع لفظ الاستواء للاستيلاء البتة، =

وان كان بطريق الاستعمال فى لغتهم فكذب أيضا، فهذا بنظمهم ونثرهم شاهد بخلاف ما قالوه، فتتبع لفظ استوى ومواردها فى القرآن والسنة وكلام العرب، هل تجدها فى موضع واحد بمعنى الاستيلاء؟ اللهم الا أن يكون ذلك البيت المصنوع المختلق، وان كان بطريق المجاز القياسى، فهو انشاء من المتكلم بهذا الاستعمال فلا يجوز أن يحمل عليه كلام غيره من الناس فضلا عن كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سادسا : انه يبين سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره ماقد علمه أهل المعقول أنه لم يزل مستوليا على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها وكان العرش وغيره فى ذلك سواء، فلا معنى لتأويلهم بافراد العرش بالاستواء الذى هو فى تأويلهم الفاسد استيلاء، وملك وقهر وغلبة قال وذلك ايضا يبين انه على الحقيقة بقوله «ومن أصدق من الله قيلا» ا. هـ

والحق أنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته إلا أنه بائن من جميع خلقه بلا كيف، وهو فى كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، اذ لا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها، وقوله تعالى «وهو معكم أينما كنتم»، أى بعلمه يعنى معية العلم، وقوله «ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» المعية هنا بمعنى النصر والتأييد.

والخلاصة : ان الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح الأول، متفقة على أن الله فى السموات مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وكماله، ومتفقة على أن انكار هذه الصفة ضلالة ظاهرة وبدعة

منكـرة، وخـلاف لدين الاسـلام ولضروورياتـه ولنصوصه المتعددة المتكاثرة، ولكن دليلا واحدا من أحد الأمور الثلاثة : الكتاب والسنة وكـلام السلف الصـالـح يدل على جحد هذه الصفة لن يظفر به طالبه، أو يجده ملتمسه.

فما فى كتاب الله ولا فى سنة نبيه لفظ واحد يدل على نفى هذه الصفـة وجحـدها، ويدل على أنه لا يصح وصف الله تعالى بها، وكذلك لن يظفر بكلمة واحدة من كلام السلف والأئمة المشهورين الواقفين حيث وقف الكتاب والسنة والمنتهين حيث انتهيا تدل على أن الله ليس فى السماء وليس مستويا على عرشه أو تقول ان اثبات هذه الصفـة لله تشبيه أو تجسيم، ولا جاء عن أحد من هؤلاء أنه أول النصوص الواردةفى هذا، ولا أنه فسر شيئا بخلاف الظاهر المادى منها لفصحاء الناس.

ونحن نتحدى المخالفين لنا أن يأتوا بحرف واحد من الكتاب أو السنة الصحيحة أو من كلام السلف كالصحابة والتابعين وتابعيهم. يدل على مازعموا من تأويل هذه الصفة، أو أن فى اثباتها نقصا أو تشبيها أو تجسيما لله تعالى «تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا» فو الله لو صعدوا السموات ونزلوا أعماق الأراضين السبع لما وجدوا ما يؤيدهم سوى تلك التأويلات الفاسدة ومقولات الجهمية والمعتزلة الباطلة.

ولا أدرى كيف تجاهـل هؤلاء أن القرآن والسنة قد بينا أحكام الوضوء والطهارة والحيض وآداب الخلاء وأنواع المحرمات، ولا يذكر فيهما لفظ واحد يشير أن الله ليس فى السماء وأن تأويلهم على صواب.

وهـا أنـا أوجه الخطاب للأشاعرة الذين يزعمون أنهم يقلدون الامام أبا الحسن الأشعرى رحمه الله فان كانوا أشاعرة صدقا وحقا، فالامام الأشعرى نص فى كتاب الموجز ومقالات الاسلاميين والابانة التى هى آخر كتبه على عقيدة السلف الصالح من اثبات الصفات كالاستواء والوجه واليدين والنزول وما إلى ذلك من الصفات الواردة فى الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تمثيل، وإنه على عقيدة الإمام أحمد أبن حنبل رحمه الله.

والى الواقفين والقراء ماقاله الامام أبو الحسن فى الاستواء فى كتابه الابانة :

باب ذكر الاستواء

ان قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل نقول له : ان الله تعالى مستوى على عرشه كما قال تعالى «الرحمن على العرش استوى» وساق الأدلـة على ذلـك ثم قال : وقـال قائلون من المعتـزلـة والجهمية والحرورية أن معنى قوله : «الرحمن على العرش استوى» انه استولى وملك وقهر وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا فى الاستواء الى القدرة، ولو كان هذا كما قالوا كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة السفلى، لأن الله تعالى قادر على كل شيء والأرض والسموات وكـل شيء فى العالم فلو كان الله مستويا على العـرش بمعنى الاستيلاء والقـدرة، لكـان مستـويا على الأرض والحشوش والأنتان والأقذار، لأنه قادر على الأشياء كلها، ولم نجد أحدا من المسلمين يقول : ان الله مستو على الحشوش والأخلية، فلا

يجوز أن يكـون معنى الاستـواء على العرش على معنى هو عام فى الاشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون سائر الأشياء. ا. هـ.

انـظر بحـث «الاسـتـواء في الـعلو» للذهبى، وفى «الجيوش الإسـلامية» لأبن القيم، وفي كتابي «العقائد السلفية» قد أثبت فى بحث الاستواء بما لا مزيد بعده، وفندت شبههم العقلية والنقلية. والحمد لله على ذلك.

فهرس

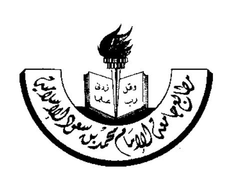
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة




وقل رب
زدني علما
مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية